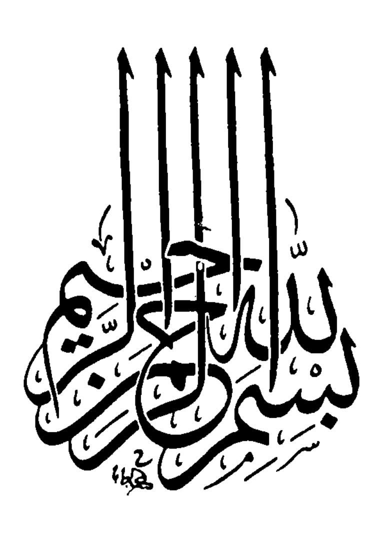
رسالة في العقيدة

بقلم :
الدكتور/علي محمد جريشة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

١ـــ هذه الرسالة تأتي في وقت اختلف فيه حول أصل الأصول : حول «عقيدة الاسلام» ، ما بين مغال فيها ، متهم للناس بعدم فهمها ، بل بالبعد عنها والانسلاخ منها .

وما بين مقصر ومفرط فيها ... بالاقتصار على قول اللسان ، أو التفرقة بين علم القلب وعمله ، أو مستبعد لعمل الجوارح مستهين به وبما يترتب عليه .

وليس الأمر حديثا .. وإن كان يتجدد ..

لقد وجدت تلك الفرق في الصدر الأول وفي خير القرون .

لكن الدعوة إلى بعضها اليوم تتسلح بسلاح العلم ، وتتخذ صورة رسائل علمية أو كتابات علمية ، مما يدعونا إلى الذَّبّ عن عقيدة الاسلام قدر ما نستطيع .

٢ـــ وعقيدة الاسلام كانت دائما وسطا أمثل بين الافراط والتفريط .تقوم على :

نطق اللسان .

واعتقاد القلب «بعنصرية علما وعملا»

وعمل الجوارح .

ولكنها لا تغالي اتهاما بالكفر أو رميا بالجاهلية .

ولا تقصر أو تفرط انحيازا إلى من قاموا كسالى بما أمر الله به ، أو حكموا الطاغوت ، واستبعدوا حكم الله تحت «أى دعوى من الدعاوى» . بل نصم أولئك وهؤلاء بما وصمهم الله به فسقا أو ظلما أو كفراً .

٣ـــ وقد استخرنا الله أن نتناول في هذه الرسالة عناصر العقيدة الصحيحة :

قول اللسان .

واعتقاد القلب .

وعمل الجوارح .

وفي النهاية نعرض لدعاوي الافراط والتفريط بمشيئة الله .

والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

«المؤلــف»

الفصل الأول

قول اللسان

«قـول اللســـان»

٤ـ «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[١]

«فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا الله»[٢]

هذا ما كان يطلبه النبي ﷺ قول «لا إله إلا الله» . أو «شهادة أن لا إله إلا الله» ، وبه نزل القرآن [**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**] ، [**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**] ولكن كانت الشهادة تعني شيئا فوق القول[٣] ، فإن القول هو الجزء الظاهر من الشهادة «أما العلم أو الفهم» .

وأما «الاعتقاد» فشيء غير ظاهر ، وما كان رسول الله ﷺ يمتحن أحدا في فهمه أو يمتحن أحداً في اعتقاده بل كان يقبل القول مجرد القول ، وكان صحابته كذلك .[٤]

ومن ثم فقد بقي «القول» هو «الشهادة» إلا أن يثبت عكس ذلك .[٥]

٥ـ **ولقد تواترت النصوص تواتراً «نعنوياً» على الاكتفاء بالقول كعنصر أول للايمان :**

ـ منها ما حدث أسامة بن زيد بن حارثة : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة ، فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي فقتلته قال : فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ ـ فقال لى .. يا أسامة أفقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ فما زال يكررها على حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[٦]

---

(١) رواه أحمد .

(٢) متفق عليه .

(٣) الشهادة : إخبار بالشيء عن علم به ، واعتقاد بصحته وثبوته «شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ الطبعة الرابعة» ـ محمد خليل هراس ، وعبدالرزاق عفيفي توزيع الجامعة الاسلامية .

(٤) ولقد يقال إن العرب كانوا فاهمين ، وفي الصدر الأول من العجم كثير ، وكان يقبل منهم القول دون إمتحان !

(٥) أي يثبت أن القول ليس معه علم أو إعتقاد .

(٦) متفق عليه رواه : أبوهريرة .

ــ ومنها ما حدث المقداد بن عمرو الكندي ، وهو ممن شهدوا بدرا أنه قال : يا رسول الله . إن لقيت كافرا فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة ، وقال أسلمت لله أأقتله بعد أن قالها ؟ قال الرسول ﷺ : **لا تقتله** ، قال قلت يا رسول الله فإن طرح إحدى يدي ثم قال ذلك بعد قطعها أأقتله ، **قال لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**.[1]

هذا في القول ــ إلى جوار ما قدمنا ــ

وقبل ذلك كله ما جاء في القرآن ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[2] ، ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**﴾[3]

ـأما الشهادة فلئن ورد فيها مع النص السابق نص آخر :

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به ، فمن قال لا إله إلا الله ، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحق وحسابه على الله[4]

فقد ورد ، مع هذا النص ، نص آخر :

«**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»[5]

وقوله ﷺ لجارية «**أين الله**» ؟ قالت في السماء ، **قال من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة**»[6]

٦ــ وقولنا بكفاية القول باعتباره «الحد الأدنى» المطلوب ظاهرا لا يعني رفض مايزيد عن ذلك .. من فهم لمعنى الشهادة ، لكننا لسنا مطالبين بالتنقيب عنها ، أو باتهام الناس بعدم توافرها .

كذلك لا يعني هذا الاستغناء عن اعتقاد القلب ، وعمل الجوارح كعنصرين مكملين للايمان ــ كما سنشير بمشيئة الله ــ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) سورة الأحقاف : ١٣ .

(٣) سورة فصلت : ٣٠

(٤) متفق عليه رواه أبوهريرة .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه مسلم .

٧ـــ ويترتب على القول أو الشهادة بأن «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» أثران :

أثر دنيوي ، وآخر أخروي .

ـــ أما الدنيوي : فهو دخول الاسلام ، وعصمة الدم والمال .

وعلى هذا تضافرت النصوص ، وانعقد الاجماع .

ـــ أما الأخروي .. فإن لا إله إلا الله تمنع الخلود في النار ، كما توجب لصاحبها الجنة ـــ ولو بعد فترة من العذاب ـــ

في هذا المعنى قول رسول الله ﷺ :

«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة .

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة .

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»(١)

وفي حديث طويل قال رسول الله ﷺ **«ذلك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وسرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق»**(٢)

وقول الرسول ﷺ لعمه أبي طالب : **«أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، وفي رواية : أشهد»**(٣)

٨ـــ ومع هذا القول نقول به ونؤكده

فإننا نود للمسلمين : أن يفهموا معنى لا إله إلا الله .

وأن يكون مع هذا الفهم اعتقاد .

وأن يكون بعد الاعتقاد عمل .

فبهذا توجد العقيدة السليمة ، والايمان الكامل .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) متفق عليه .

ولا نستهين بصغيرة ولا نجترىء على كبيرة ، ورسول الله ﷺ يعلمنا : **«إياكم ومحقرات الذنوب ، ثم ضرب مثلا بقوم نزلوا بفلاة من الأرض فأعوزهم الحطب ، فجعل هذا يجيء بعود حتى جمعوا حطبا كثيرا فأوقدوه وأنضجوا خبزتهم»**

فكذلك فإن محقرات الذنوب تجتمع على العبد وهو يستهين بها فتهلكه»[1]

٩ ــ **يتبقى بعد ذلك أن نتناول قضية أثارها بعض المحدثين** ، وهم في الواقع جددوا بها قضية قديمة .

أما ماقاله بعض المحدثين : فقد قالوا إنه لابد من فهم معنى لا إله إلا الله ، وبالأخص العلم بأنها تعني «حاكمية الله» باعتبارها أخص خصائص الألوهية ..[2] وبغض النظر عن العلم المقصود هل هو فقط «الحاكمية» بالمعنى الذي قيل ، أم هو الألوهية بمعنى أوسع ، أم تكون معه الربوبية كذلك ...

نقول بغض النظر عن الفهم المقصود .. فقد أثيرت القضية قبل ذلك على نحو آخر : هل يقبل إيمان «المقلد» ؟

أم لابد من «الاجتهاد» ؟

وتفرق العلماء في ذلك إلى مذاهب شتى :

فبعضهم استلزم الاجتهاد لمعرفة الدليل ورتب الكفر على من لم يفعل ذلك .

وبعضهم ذهب إلى العكس تماما إذ زعم أن إيمان «المقلد» أو «العامي» أقوى من إيمان من يعرف الدليل .[3]

وقد أثاروا هذه القضية لمناسبة ما كان يسوقه علماء الكلام من أدلة .

١٠ــ ونحن نرى أن القضية في القديم «اختلفت» ، وأنها كذلك في الحديث

---

(١) مدارج السالكين جـ ١ ص ٢٢٤ ، ص ٢٦٥ .

(٢) بالغ البعض في هذا الصدد فزعم أن أكثر الدعاة : لا يفهمون معنى لا إله إلا الله .

(٣) راجع عرضاً شيقا للقضية في كتاب «مقدمات وأبحاث تمهيدية في العقيدة الاسلامية تأليف الشيخ الفاضل محمد نمر الخطيب ــ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت لبنان ، حيث أورد حجج كل فريق ، ثم إنتهى إلى رأى وسط وقال إنه لابد من دليل ــ أى دليل ــ يحصل به المعرفة الصحيحة والإيمان الصحيح بالله تعالى ، وقد يكون ذلك عن نظر في عوالم الله ، أو عن تأمل لآياته أو إلى غير ذلك من الأدلة التي لا يمكن حصرها .

«مختلفة» ذلك أن «علم الكلام» الذي من أجله اختلفوا ليس من الدين في شيء ،[1] وهو علم غريب عن الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ويرجع إلى الفلسفة اليونانية حين ترجمت ، أو لجأ إليه بعض العلماء للرد على الزنادقة الذين أثاروا الشكوك ، والعلم المقصود بلا إله إلا الله علم بعيد عن علم الكلام وقضاياه المنطقية التي لا يستفيد منها غبي ، ويستغنى عنها الذكي[2]

١١ ـــ أما المحدثون فقد أثاروا القضية على نحو آخر :

إنهم يتطلبون لصحة الايمان علما من نوع خاص ، علم يعز على أكثر الدعاة ! وهم يركزون على إحدى ثمرات «لا إله إلا الله»

وهي وجوب رد الحكم إلى الله ...

فإنه كما يترتب على توحيد الله ، خصه سبحانه «بالمحبة» وخصه سبحانه وتعالى «بالخضوع» وخصه تعالى «بالذلة» ، فإنه يترتب كذلك أن يكون له وحده الحكم بل لعله أحد أوجه الخضوع لله سبحانه وتعالى .

والقول «بالحاكمية» لا تعني أنها «اختراع» لم يسبق إليه .. وبالتالي اتهام الأجيال السابقة واللاحقة بعدم فهم «لا إله إلا الله» فضلا عن أكثر الدعاة . إنها ـــ كما نرى ـــ بعض معاني العبادة التي يثمرها توحيد الله سبحانه وتعالى ، بل إن ربطها بالعبادة قد يكون أفضل من تقديمها مبتوتة أو مبتورة عنها مما يلقيه أصل الكلمة ـــ كمصطلح ـــ في عجمتها من ظلال الخضوع دون ظلال الحب ، مع أن العبادة الحقة يمتزج فيها

---

(١) على هذا أئمة ثلاثة من أصحاب المذاهب ، وأهل السنة ـــ راجع الإيمان لابن تيمية ورسائل العقيدة لعبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ .

وفي هذا المعنى يقول إمام راحل «عمر التلمساني» في رياض التوحيد : إذا جعلك الله في مقام الدعاة إليه فاحذر أن تأخذ طريق أهل الكلام فيشوش على المؤمنين فهمهم وتبث الاضطراب في يقينهم ، حدثهم بما تستطيع عقولهم أن تعيه وتفهمه وتطيعه ولا تدخل معهم في متاهات لا أول لها ولا آخر فهذا هو المصطفي عليه الصلاة والسلام حيث يقول للفاهمين «حدثوا» الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله .

رواه البخاري عن على رضي الله عنه

وفي العقيدة الطحاوية «وإنما سمي هؤلاء أهل الكلام لأنهم لم يفيدوا علما لم يكن معروفاً وإنما أتوا حرب كلام لا يفيد ص ١٦٦ ثم ضرب أمثلة من أظهروا الندم من علماء الإسلام على تعلم علم الكلام .

تعبير للإمام ابن تيمية في رفضه للمنطق .

منتهى الحب[1] بمنتهى الخضوع[2]

ـــ ونقول بعد ذلك :

إن هذا العلم مطلوب لصحة الاعتقاد ، وهو ما عبر عنه العلماء «بعلم القلب»

ومن ثم فإنه في مرحلة نطق اللسان .. يصح النطق ، دون بحث في العلم ويأتي حديث العلم بعد ذلك .

والله أعلم .

---

(١) أصل الكلمة لفظة Souvereinty وهي التي إستخدمها العلامة ـــ المودودي ـــ رحمه الله لايقاظ معنى غاب في الفترة الأخيرة ، ليرد على ما ذهب إليه البعض تأييداً لالغاء الخلافة الاسلامية من أن الاسلام دين لا دولة وأن لا علاقة للاسلام بنظم الحكم ـــ راجع في ذلك رسالة متواضعة تحت عنوان «محنة لا إله إلا الله» ، وراجع للعلامة المورودي ـــ تلوين الدستور الاسلامي وقد تحدث فيه عن الحاكمية بمعنى Souvereinty .

(٢) يقول العالم الجليل د. يوسف القرضاوي : أن التوحيد يتحقق بإخلاص العبودية لله ، ويفسر ذلك بعناصر ثلاثة :

١ـــ ألا يبغى الانسان غير الله ربا يعظمه كما يعظم الله **﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ﴾**

٢ـــ أن لا يتخذ غير الله وليا يحبه كحب الله **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾**

٣ـــ أن لا يتخذ غير الله حكما يطيعه كما يطيع الله **﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾**



الاعتقاد

الاعتقـــاد

١٢ـــ الاعتقاد أهم عناصر الايمان ..

لأنه إن انتفى كان الكفر .. حتى ولو نطق بالشهادة ، لأنه يكون من المنافقين نفاقا أكبر الذين قال الله فيهم **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا﴾**[1] وقال في فريق منهم **﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾**[2]

أما إن انتفى الاعتقاد مع الشهادة .. فإنه يكون كافرا كفرا أكبر قولا واحدا .

ـــ والاعتقاد يمتد إلى أركان الايمان الستة التي وردت في الحديث الصحيح : الايمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

١٣ـــ بيد أن الاعتقاد لا يتوفر إلا إذا توفر أمران :

علم القلب ... بتلك الأركان .

ثم عمل القلب .. أى تحركه بتلك الأركان .

وعلم القلب ـــ كما تواضع العلماء عليه ـــ قد يتوافر عند المؤمن وغير المؤمن .

أما عمل القلب كما تواضع العلماء عليه ـــ فلا يكون إلا للمؤمن .

ـــ ولسوف نعرض بمشيئة الله لهذين الأمرين على التوالى ، ونتناول في ثنايا الحديث ما كان من إفراط أو تفريط في مجال الاعتقاد .

---

(١) سورة النساء آية ١٤٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٨٤ .

أولا : علم القلب

١٤ــ قلنا إن عقد القلب أو اعتقاده لابد من أمرين :

ــ علم القلب

ــ وعمل القلب

والعلم يتقدم العمل ، لأنه لا يتصور عمل بغير علم ، وإلا كان تخبطا ، بيد أن عمل القلب أهم من علمه لأن العلم ــ كما ذهب إلى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قد يتساوى فيه أفجر الفجار مع أكثر المؤمنين إيمانا ، أو كما قال : قد يتساوى فيه إبليس مع أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه .[1]

وفي كتاب الله ﴿**فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ..﴾[2]

ومن ثم فلابد من العلم أولا .

لابد من علم بلا إله إلا الله .. وهي .. مدار الاعتقاد كله .

وهذا العلم قدمه القرآن لنا في صورة حية نابضة بعيدة عن تعقيد المتكلمين ، وفلسفة المتفلسفين .

وركز العلماء ــ علماء السلف ومن تبعهم ــ على ما استخلص من آيات الله في هذا المجال وقسموها إلى نوعين :

نوع أول : تتحدث آياته عن : ذات الله وصفاته وأفعاله

١٥ــ تتحدث عن أنه واحد لا شريك له ، وأنه هو الملجأ والمنجي ، وأنه لا والد له ولا ولد وأنه لا مثيل له ولا شريك ولا نظير «سورة الاخلاص» .

ــ وتتحدث عن أنه ــ سبحانه ــ الحي القيوم على أمر السموات والأرض وما فيها من خلائق وأنه تولى خلقه من الانس والجن بالعناية والرعاية إذ أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وأنه الذي يصور الخلق في الأرحام [**يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور**] «أول سورة آل عمران»

ــ وأنه الذي خلق .. ومن ثم تولى خلقه بالهداية بما أنزل ..

---

(١) الإيمان الحق للمؤلف ، والمراجع المشار إليهما ــ وفي مقدمتها كتاب الإيمان لابن تيمية .

(٢) سورة محمد آية ١٩ .

وأنه الرحمن شملت رحمته كل الخلائق .
وأنه على العرش استوى «والاستواء معلوم ، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»[1]
وأنه يملك ما في السموات والأرض ، وما بينهما ، وما تحت الثرى
وأنه لذلك كله : لا إله إلا هو .. له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا
«أول سورة طه»

ـــ وتتحدث عن .. أن الكتاب نزل من عنده هو رب العالمين
ويربط بين نزول الكتاب وبين الخلق مرة أخرى .
ثم يذكر استواءه سبحانه على العرش .
ثم يذكر تدبيره وحكمته .
ثم يذكر أنه عالم الغيب والشهادة .
وأنه العزيز الحكيم
ثم يذكر كيف خلق الانسان الأول من طين .
وكيف خلق نسله من سلالة من ماء مهين
وكيف سواه ونفخ فيه من روحه .. فكانت عزته وتكريمه .
ثم يذكره بنعمه بعد ذلك **﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾**
«أول سورة السجدة»

وتمضي سور أخرى تعدد وتوضح جوانب ربوبية الله لخلقه .. خلقا ،

---

(١) صاحب الكلمة هو الامام مالك رضي الله عنه .. وهي مشهورة ، وهي حسم لما يثور حول هذا الموضوع .. والله أعلم .
ونرى أن تعبير الامام مالك «الاستواء معلوم» ـــ دون أن يفسره ، أفضل من قول غيره الذي ذهب إلى التأويل في معنى الاستواء «من حيث لا يشعر» ما يعيبه على الآخرين فقد جاء في الاسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية :
استقر ، وعلا ، وارتفع ، وصعد ، ومعناها واحد أي متفق قال الامام ابن القيم
وهي استقر وقد علا وقد ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذا قد صعد الذي هو رابع ـــ وأبوعبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسيره ـــ أدرى من الجهمي في القرآن «ص ١٩٠ من المرجع المذكور ، وذلك في الوقت الذي أنكر على غيره تفسير استوى بمعنى استولى وهو تفسير وارد لغة ـــ الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢٢٥» .

ورزقا ، وهداية ، وتكريما[1] .

١٦ــ **ويسمى هذا ــ فيما اصطلح عليه العلماء ، ولا مشاحة في الاصطلاح توحيد الربوبية .**

ولم يكن مشركو قريش ينكرون هذا التوحيد

ولكن أنكره الماديون الملحدون الذين ينكرون وجود الله تعالى : كالدهريين قديما ، والشيوعيين حديثا

وقد حكى القرآن عن مشركي قريش :

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله﴾[2]

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ؟ ليقولن الله﴾[3]

﴿لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله ، قل أفلا تذكرون﴾ ؟

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون﴾ ؟

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون ؟ لله ، قل فأنى تسحرون﴾[4]

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟﴾[5]

١٧ــ **ولا يحتاج معرفة رب العالمين إلى ما سقط فيه البعض من التعقيد :**

.. إنها الفطرة تنطق أن لا إله إلا الله ..

---

(١) راجع كذلك سورة «الحديد» في أولها ، وسورة «الحشر» في آخرها وقد وضح ذلك الأخ الدكتور يوسف القرضاوي في كتيبه «حقيقة التوحيد» ص ١٧ وما بعدها ووضحها إمام دعاة عصره «عمر التلمساني» رحمه الله في خواطره القيمة «في رياض التوحيد» وهي مجموعة مقالات ظهرت تباعاً في مجلة الدعوة المصرية ونشرتها دار الطباعة والنشر الاسلامية ــ القاهرة .

(٢) العنكبوت ٦١ .

(٣) العنكبوت ٦٣ .

(٤) المؤمنون ٨٤ ــ ٨٩ .

(٥) يونس ٣١ .

إنها الآفاق تنطق أن لا إله إلا الله
إنها الأنفس تنطق أن لا إله إلا الله
﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1]
﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[2]
﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[3]

ويوم عبر أعرابي عن علمه بأن «لا إله إلا الله» قال :
بعرة تدل على بعير ، وأقدام تدل على مسير ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ، أفلا تدل على العليم الخبير ؟
ويوم عبرت أمة عن معرفتها بربها .. إذ سألها رسول الله ﷺ فقالت في السماء .. فشهد لها رسول الله ﷺ .. أنها مؤمنة .
ويوم عبرت أعرابية أخرى قيل لها إن الفخر الرازي يحتفون به لأنه قدم ألف دليل ودليل على وجود الله فقالت : «ومتى غاب حتى يستدل عليه ؟»
يوم فعل هؤلاء ذلك ، وقبل الرسول ﷺ من الأمة قولها دون أن يختبرها أو يكشف عن مدى فهمها ، قال ﷺ **«أعتقها فإنها مؤمنة»**
ــ حديث صحيح ــ مع أنها لم تعرف عن ربها ، إلا أنه في السماء !
هؤلاء جميعا .. كانوا ينطقون عن الفطرة ..
وهي التي خاطبها القرآن أول ما خاطب .. وآياته مليئة بذلك ..
«قل سيروا في الأرض فانظروا ..
أولم يروا ...
أولم يروا ...
ألم تر إلى ربك كيف مد الظل»

١٨ــ والذين تحدثوا عن المنهج العلمي ، أو المنهج العقلي ، أو غيره من مناهج الدعوة نسوا أو تناسوا أن منهج الفطرة هو الأساس ، وأنه إذا استخدم أي منهج آخر فإنما يستخدم عاملا مساعدا لاثارة الفطرة ، وإزالة ما عليها من

---

(١) فصلت ٥٣ .
(٢) الانعام ٣٣ .
(٣) البقرة ١٤٦ .

غبش أو ما ران فوقها مما يكسبون ! ، وقد تحدثنا عن ذلك طويلا في غير هذا المكان[1]

١٩ــ ونضيف إلى معرفة الله عن طريق الفطرة السليمة سبيلا آخر :

فمعرفة الله عن طريق التفكر والتدبر ... هو سبيل لاستثارة الفطرة السليمة التي سرعان ما تعرف ربها .. وقد تقدم الحديث عنه

أما السبيل الآخر .. فهو معرفة الله سبحانه عن طريق معرفة أسمائه والتفكر فيها :

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2] ــ أي فسموه واذكروه واعبدوه بها[3]

و **«إن لله تسعة وتسعين إسما من حفظها[4] دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر»**[5]

ونذكر هذه الأسماء لمزيد من المعرفة بالله مع شرح مختصر لها[6] .. وقد وردت في رواية الترمذي «رضي الله عنه»

هو الله : علم على الذات المقدسة الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد ، أما بقية الأسماء فكل اسم يدل على صفة .

الرحمن : المنعم بجلائل النعم

الرحيم : المنعم بدقائقها

الملك : المتصرف في ملكه كيف يشاء

القدوس : المطهر من العيوب والنقائص

السلام : الأمان لخلقه

المؤمن : المؤمِّن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم

---

(١) راجع مناهج الدعوة وأساليبها ــ للمؤلف ــ دار الوفاء بالمنصورة وراجع الشيخ محمد الغزالي ــ الطريق من هنا ــ سلسلة معرفتك ــ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ص ١٠١ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦ .

(٢) الأعراف ١٨٠ .

(٣) قاله الشيخ سيد سابق ــ المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) يقول الشيخ سيد سابق حفظها ودعاها واستحضر معناها واستشعر في نفسه آثارها .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

(٦) نقلناه عن المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

المهيمن : المسيطر

العزيز : الغالب

الجبار : المنفذ لأوامره ، المصلح لشئون عباده [1]

المتكبر : المنفرد بصفات العظمة

الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل أو المقدر

البارىء : الخالق لما فيه الروح والموجد لما ليس له أصل

المصور : المعطي لكل شيء صورة تميزه عن غيره [2]

الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب

القهار : القابض على كل شيء والقاهر لكل الخلائق

الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والمنن

الرزاق : خالق الأرزاق وخالق أسبابها

الفتاح : الذي يفتح خزائن رحمته لعباده [3]

العليم : العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء

القابض : قابض الأرواح ، أو قابض الرزق بمعنى مضيقه على من يشاء من عباده

الباسط : موسع الرزق على من يشاء

الخافض : يخفض من هو مستحق للخفض بالخزى والذل والعذاب

الرافع : يرفع من يستحق الرفعة من المتقين

المعز : يعز من استمسك بدينه ويعطيه النصر والغلبة

المذل : الذى يذل أعداءه

السميع : الذي يسمع كل شيء مهما دق أو بعد [4]

البصير : الذي يبصر كل شيء مهما دق أو بعد [5]

---

(١) قد نخالف الشيخ الجليل في معنى الجبار .. ففيه جانب البطش والقوة مع من يستحق من الظلمة والفجرة ، ورد في مختار الصحاح : الجبار الذي يقتل على الغضب — والله أعلم .

(٢) فالخالق الموجد للأشياء إيجاداً أولياً ، أو المقدر ، والباري المظهر لها ، والمصور الذي أعطاها الصورة المناسبة .

(٣) لعل فيها معنى التوفيق والتسديد ، ومعنى التيسير كذلك لأن الفتح يكون للشيء المغلق وذلك فضلا عن معنى النصر .. لأن الفتح هو النصر ، أما الرحمة فقد تقدمت في إسمه الرحمن واسمه الرحيم ، والله أعلم .

(٤) (٥) هذه من تفسيرنا إذ لم يفسرها الشيخ .

الحكم : الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه

العدل : العادل الكامل في عدالته

اللطيف : العالم بخفايا الأمور ودقائقها[١] ـــ المترفق بخلقه

الحليم : الذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة

العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة لاتصافه بصفات الجلال والجمال

الغفور : كثير الغفران

الشكور : الذي يعطي الكثير على العمل القليل

العلى : البالغ أعلى المراتب التي لا يتصورها العقل ولا يدركها الفهم

الكبير : الذي لا يستطيع الحواس ولا العقول إدراكه

الحفيظ : الذي يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب ، ويحفظ أعمال العباد فلا يضيع منها شيء[٢]

المقيت : خالق الغذاء الروحي والمادي

الحسيب : الذي يكفي عباده ، أو الذي يحاسبهم يوم القيامة

الجليل : الذي له صفات الجلال لكمال صفاته

الكريم : المعطي من غير سؤال ولا عوض

الرقيب : الذي يراقب الأشياء ويلاحظها[٣]

المجيب : الذي يستجيب للداعي إذا دعا

الواسع : الذي عمت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء[٤]

الحكيم : صاحب الحكمة لكمال علمه وإتقانه كل شيء[٥]

الودود : المحب الخير لخلقه ، والمحسن إليهم في كل الأحوال .

المجيد : البالغ النهاية في المجد والشرف

---

(١) لعل الأنسب لمعنى اللطيف هو الترفق ، فالله يلطف بعباده أى يترفق بهم ، والله أعلم وفي المختار التوفيق والعصمة .

(٢) يضاف إليها حفظ الانسان نفسه «والله أعلم» سواء حفظا معنوياً من السوء أو حفظاً مادياً كذلك وهو قريب من معنى اللطف والله أعلم .

(٣) ويراقب الانسان «وهو معكم أينما كنتم» .

(٤) أحسب أنها يمكن أن تضاف كصفة إلى غيرها من الصفات فإلى جانب ما ذكر واسع العطاء واسع المغفرة .. الخ والله أعلم .

(٥) قد يكون إشتقاقاً من الحكمة أو إشتقاقاً من الحكم .. فهو وحده الحاكم الذي لا يرد أمره ولا يسمو شرع إلى شرعه ـــ والله أعلم .

الباعث : أي باعث الرسل ، وباعث الهمم ، وباعث من في القبور
الشهيد : العالم بكل مخلوق(١)
الحق : الثابت الذي لا يتغير
الوكيل : القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه
القوى : صاحب القدرة التامة
المتين : الذي بلغ النهاية في الشدة (٢)
الولى : المتولى أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم(٣)
الحميد : المحمود المستحق الثناء
المحصي : الذي لا يغيب عن علمه شيء(٤)
المبدىء : المظهر للأشياء من العدم
المعيد : الذي يعيدها بعد عدمها
المحيى : خالق الحياة في كل حى
المميت : سالب الحياة من الأحياء
الحي : صاحب الحياة الدائمة
القيوم : القائم بنفسه ، والمقيم لغيره ، فبه قامت السموات والأرض
الواجد : الذي يُجد كل ما أراده ، فلا يحتاج إلى شيء لغناه المطلق
الماجد : مثل المجيد(٥)
الواحد :(٦)
الصمد : الذي يقصد في الحوائج
المقدم : الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود ، وفي الشرف أو في الزمان أو في المكان
المؤخر :(٧)

---

(١) لعل العلم المقصود هنا هو «الاطلاع المباشر» من الله سبحانه على كل عمل وكل حركة وكل شيء .
(٢) لعل الإضافة إلى القوة أبلغ وأدل والله أعلم .
(٣) لعل النصر غير وارد لأنه لا يكون إلا للمؤمنين والله أعلم «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» .
(٤) لعل الصفة متعلقة بالعدد لقوله تعالى ﴿أحصى كل شيء عدداً﴾ والله أعلم .
(٥) لابد في التكرار من معنى جديد والله أعلم ، فإذا إنصرفت المجيد إلى المجد والشرف فإن الماجد يمكن أن تنصرف إلى الكرم والله أعلم .
(٦) لم يشرحها الشيخ ، ونحسب معناها : المنفرد في كل شيء .
(٧) لم يشرحها الشيخ ، ونحسب معناها : الذي يؤخر ما شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

الأول : القديم السابق على كل شيء
الآخر : الباقي بعد كل شيء
الظاهر : الذي أظهر وجوده بآياته
الباطن : الخفي بذاته فلا يعلم ذاته أحد
الوالى : الذي تولى الأشياء وملكها
المتعالى : المنزه عن النقائص
البر : كثير البر عظيم الاحسان
التواب : الذي يوفق العصاة للتوبة ، ويقبلها منهم
المنتقم : المعاقب لمن يستحق العقوبة
العفو : الماحي لسيئات من أناب إليه
الرءوف : عظيم الرأفة والرحمة
مالك الملك : الذي تجرى الأمور في السموات والأرض طبق مشيئته وإرادته
ذو الجلال والاكرام : صاحب الشرف والكمال ، ومفيض النعم والألاء
المقسط : المنصف للمظلومين من الظالمين بعدله
الجامع : الذي يجمع شتات الحقائق المختلفة والذي يجمع الناس يوم الدين
الغنى : المستغني عن كل ما عداه ، والمفتقر إليه كل ما سواه
المغني : المتفضل بإغناء من شاء من خلقه
المانع : الذي يمنع أسباب الهلاك
الضار : «ينزل عقابه بأعدائه»[1]
النافع : الذي عم خيره البلاد والعباد
النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره[2]
الهادى : الذي هدى وأرشد كل شيء إلى ما يحفظ وجوده

---

(١) لعل الأنسب للضار ، أنه سبحانه كما أنه مصدر النفع ، فهو وحده مصدر الضر فلا ينفع ولا يضر إلا الله .. وإن كان ينزل ضراً .. فإما أنزله بالاعداء كما قال الشارح ، وقد ينزله بالأولياء إبتلاء ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ والله أعلم .

(٢) في النفس من ذلك التفسير شيء .. إن الله نور ، ولكن ليس كالنور الذي نرى «ليس كمثله شيء» «الله نور السموات والأرض» ، «وأشرقت الشمس بنور ربها» .

البديع : الذي لا نظير له
الباقي : الدائم الوجود
الوارث : الباقي بعد فناء المخلوقات
الرشيد : المرشد لعباده والذي تجري تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد
الصبور : الذي لا يتعجل بالعقوبة ولا يتعجل بشيء قبل أوانه ــ إنتهى

٢٠ــ أما اسم الله الأعظم فقد ورد فيه بعض الأحاديث :

ــ عن بريدة رضي الله عنه قال : «سمع النبي ﷺ رجلا يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ــ قال فقال : «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى**»(١)

ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه : دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو في دعائه : «**اللهم لا إله إلا أنت ، أنت المنان ، بديع السموات والأرض ، ذو الجلال والاكرام . فقال : أتدرون بم دعا الله ؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(٢)

ــ وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :
«**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾** وفاتحة آل عمران : **﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**»(٣)

ــ وعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**هل أدلكم على اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ؟ الدعوة التي دعا بها يونس حيث نادى في الظلمات الثلاث : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**» فقال رجل هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : **ألا تسمع قول الله عز وجل :**

(١) رواه أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، جوده المنذري .
(٢) رواه أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، جوده المنذري .
(٣) رواه أحمد والترمذي وأبوداود وابن ماجه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

﴿فنجيناه من الغم ، وكذلك نُنْجي المؤمنين﴾[1]

ـــ فالمعرفة بهذه الأسماء توسع معرفة الانسان بربه «والله أعلم»

ولابد من الاشارة إلى أمرين :[2] اسم الجلالة «الله» علم على ذاته ، وباقي الأسماء ملاحظ فيها معنى الصفات .

أما ما يذكره البعض من أن لأسماء الله تعالى خواصا وأسرارا أو يتجاوزون فيزعمون أن لكل اسم خادما روحيا ، فهذه زيادة لم يأت بها كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلو في الدين «والله أعلم»

أما النوع الثاني :

٢١ــ فهي تتحدث عن عبادة الله سبحانه وطاعته : والاخلاص له في ذلك ، وتتحدث بمفهوم العبادة الواسع ، فتارة تتناول الدعاء كعبادة ، **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**[3]

ـــ وتارة تتناول الحب كعبادة **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله﴾**[4]

وتارة تتناول الخوف كعبادة **﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾**[5]

ـــ وتارة تتحدث عن الصلاة والزكاة وحفظ الفرج وأداء الأمانة كعبادة **﴿قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾**[6]

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) راجع تفصيلا لذلك في رسالة العقائد ـــ لمجدد هذا القرن الإمام حسن البنا رحمه الله وفي بعض أحاديث وآيات الصفات خلاف بين السلف والخلف والأولى رأى السلف المرجع السابق ، وفصل إتجاهات إسلامية معاصرة عن كتاب الاتجاهات الفكرية المعاصرة «للمؤلف» .

(٣) غافر : ٦ .

(٤) البقرة : ١٦٥ .

(٥) آل عمران : ١٧٥ .

(٦) المؤمنون : ١ ـــ ٩ .

ـــ وتارة تتحدث عن رد الحكم إلى الله كعبادة :

ورد الحكم لا يعني فقط عملية التشريع المعروفة حديثا ، إنها عمل قلب قبل ذلك إنها التسليم بحق الله أن ينظم حياة الانسان

وهي تنصرف إلى الفرد العادي كما تنصرف إلى الحاكم بمعناه الاصطلاحي المعروف يقول رب العالمين : **﴿إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾**[(1)]

فرد الأمر إلى الله في كل شيء عبادة ، وذلك هو الدين القيم .

وفي الآية الأخرى **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي ، عليه توكلت وإليه أنيب﴾**[(2)]

ـــ والاخلاص لله في كل عمل عبادة **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**[(3)]

وفي سور كثيرة من القرآن وردت هذه الآيات :

فسورة الكافرون تركز الحديث عن العبادة

﴿قل ياأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين﴾

وسورة الأنعام تركز على العبادة كذلك

﴿قل أغير الله أتخذ وليا ، فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾[(4)]

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[(5)]

﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾[(6)]

---

(١) سورة يوسف آية ٤٠ .

(٢) سورة الشورى آية ١٠ .

(٣) سورة البينة آية ٥ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٤ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٥ .

(٦) سورة الأنعام آية ٤٠ .

﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءهم قد ضللت إذن ، وما أنا من المهتدين﴾ (١)

﴿قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (٢)

— ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (٣)

﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى أئتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ (٤)

﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾ (٥)

﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (٦)

﴿أفغير الله ابتغي حكما ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ (٧)

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام آية ٥٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٦٣ .

(٤) سورة الأنعام آية ٧١ .

(٥) سورة الأنعام آية ٨٠ .

(٦) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٧) سورة الأنعام آية ١١٤ .

﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾[1]
﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ...﴾[2]
﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه ...﴾[3]
﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[4]
﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾[5]
﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم ...﴾[6]
﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء ...﴾[7]
﴿.. كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[8]
﴿قل لا أجد في ما أوحي إلى محرما — إلى قوله — فإنه رجس أو فسقا﴾...[9]
﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[10]
﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾[11]
وفي نهاية السورة
﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ...﴾[12]

٢٢ــ والذي نلحظه من الآيات الكريمات :

(١) أنها تناولت العبادة بمفهومها الشامل .. الذي سنشير إليه بعد قليل إن شاء الله .

(٢) أنها خصت : الولاية ، والدعاء ، والحكم ، والأمر ، والنهي والتحليل والتحريم بالله ..

(٣) أنها وإن كانت آياتها مضت في خط «العبادة» إلا أنها ختمت بالأعم الأشمل وهو الحديث عن الربوبية ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء﴾[13]

---

(١) - (١٣) سورة الأنعام من الآيات ١١٥ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٦ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٥ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٦٤ .

— وذكر العلماء في نفس المقام سورا أخرى كأول سورة الأعراف وآخرها
﴿المص ، كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ..﴾ (١)

[واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾

﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾(٢)

— وأول سورة يونس ، ووسطها ، وآخرها

﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم ، أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾(٣)

﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ، قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾(٤)

﴿.. وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾(٥)

— وأول سورة الزمر ، وأواخرها :

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما

---

(١) ١ — ٣ .
(٢) ٢٠٦ «الأعراف» .
(٣) ١ — ٢ «يونس» .
(٤) ٥٧ — ٥٩ «يونس» .
(٥) ١٠٥ — ١٠٦ «يونس» .

هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[1]

﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فأعبد وكن من الشاكرين﴾[2]

ــ وهذه الآيات تتناول ما اصطلح عليه العلماء بتوحيد الالهية أو الألوهية :

ونحن وإن كنا لا نشاح في الاصطلاح

فإنه لا يهمنا كثيرا ... مادام المعنى واضحا

إلا أننا نضيف إلى ذلك :

أن الفصل بين المعنيين «توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية» لا محل له إلا أن يكون للبيان والتوضيح.

وإلا فإن الآيات الأولى خاصة «بالربوبية» أعقبتها أو سبقتها آيات خاصة «بالألوهية»

وكذلك الآيات الثانية أعقبتها أو سبقتها آيات خاصة بالربوبية ولنضرب مثلا :

ــ سورة يونس التي بدأت بالحديث عن الألوهية أعقبتها الآية التالية مباشرة بحديث عن الربوبية **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾**

بل إن الآية نفسها أعقبت حديث الربوبية بحديث الألوهية ، بل إن الكلمتين تعاقبتا : **﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾**

ــ في سورة الزمر :

بعد أن تضمنت فاتحة السورة حديثا عن الألوهية أعقبها مباشرة حديث عن الربوبية **﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها**

---

(١) «الزمر» ١ ــ ٣ .

(٢) «الزمر» ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾

٢٣ــ **ونود أن نؤكد :**

أن منهج القرآن في عدم الفصل بين قضايا التوحيد ــ كما ذهب إليها العلماء ــ هو المنهج الأقوم .. وهو الذى يتفق مع التصور الصحيح لأسماء الله وصفاته ذلك أنه وإن كان كل اسم أو صفة تتسم بالكمال المطلق

فإن الأسماء والصفات تتلاقى فيما بينها لتعطي الكمال المطلق لذات الله سبحانه وتعالى ..

فكما أن اسم الرحمن الرحيم .. يعطي التصور بكمال الرحمة المطلق

وكما أن اسم المنتقم الجبار .. يعطي التصور بكمال الجبروت المطلق

فإن هذه الأسماء فيما بينها تتوافق لتعطي التصور الصحيح المقصود من وراء تعداد أسماء الله وصفاته .

وحتى نفهم هذا الأمر لنا أن نتصور لو أننا اقتصرنا على اسم الله المنتقم الجبار ..

ونحن ندعوه في ساعة العسرة أو ساعة الاضطرار أكان يمكن أن يكون هناك التصور الصحيح ؟

ولو اقتصرنا على اسم الرحمن أو الرحيم ، ونحن ندعو الله أن ينتقم من إنسان ظالم أو كافر **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾**

أكان يمكن أن يعطي ذلك التصور الصحيح ؟

ثم لم كان التعدد في أسماء الله وصفاته ، إن لم تكن وهي في كل منها تعطي الكمال المطلق ، فإنها في تعدادها وتكاملها تعطي كذلك الكمال المطلق والتصور الصحيح ؟![1]

(١) يقول ابن تيمية في كتاب الايمان : «فأسماؤه كلها متفقة على الدلالة على ذاته المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته ، والخالق يدل على نفسه مع خلقه ، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ، ونفسه تستلزم جميع صفاته «ص ١٦٣» .

ــ ولذلك قال الامام ابن القيم : **إن كل سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد**[1] ، وهو أمر يلحظه كل من تدبر آيات الله في الكتاب ، وقد ضربنا من قبل مثلين .

والله أعلم بالصواب .

٢٤ــ ويمتد العلم إلى سائر أركان الايمان :

ــ فيعلم أن بعد الدنيا دارا فيها الجنة والنار ، فيها الثواب والعقاب ، فيها يوم مقداره خمسون ألف سنة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم شأن يغنيه ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

يعلم أن الجنة للمؤمنين

وأن النار للكافرين ..

وأن العصاة ما بين رحمة الله وعذابه يتقلبون

فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ، حفاة عراة غرلا ، وتدنو الشمس ، ويلجم بعضهم العرق فتنصب الموازين ، فتوزن بها أعمال العباد ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، وتنشر الدواوين ، وهي صحائف الأعمال ، فآخذ كتابه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ ويحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه ، كما وصف في الكتاب والسنة ، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم ، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون ويقررون بها .

وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ ، ماؤه أشد بياضا من

---

(١) راجع الأخ الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ــ حقيقة التوحيد ص ١٨ ، وقد أشار إلى رأي ابن القيم ، كما أطلق هو على النوع الأول : توحيد الله علما واعتقادا وعلى النوع الثاني : توحيد الله قصداً وعملا ــ والله أعلم بالصواب .

اللبن وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا .

والصراط منصوب على متن جهنم ، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار ، يمر الناس على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى في جهنم ، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ،

فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص من بعضهم لبعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

وأول من يستفتح باب الجنة سيد ولد آدم محمد «ﷺ» ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يعتذر الأنبياء ،

وأما الشفاعة الثانية : فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

إلى آخر ما ينبغي أن يعلم عن اليوم الآخر .

ــ كما يعلم أن الله قد أراد بنا شيئا ، وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا وما اراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عَمَّاأراده منا»[1]

كما يعلم «أن الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف تيسيرا ، ولم يعص مغلوبا ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار[2]

---

(١) قالها الإمام الصادق ، وأوردها الإمام الراحل أبوزهرة رحمه الله في بحثه القيم «العقيدة الإسلامية» . كما جاء بها القرآن ص ٥٦ .

(٢) قالها علي رضي الله عنه ــ المرجع السابق ص ٥٥ .

«ارض به عن طواعية واختيار واحتساب ، ولا تترك التسليم عند حكمه عجزا منك عن تغييره أو تبديله ، كما تسمع من بعض العامة ، إن لم أصبر فماذا أفعل ؟ وليس لى بذلك حول ولا قوة ، لا .. ليس هذا بالصبر ولكنه العجز ، أما الصبر فإيمانك الكامل بأن ما جرى عليك من قدر لا يسرك لابد وأن يكون فى طواياه حكمة قد خفيت عليك ، وقد يظهر سرها لك في الغد ، وقد لا يظهر لك على الاطلاق[1]

٢٥ــ كذلك يعلم أن لله ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، خلقوا من نور ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ : **«خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم»** [2]

وقد يتشكلون بصور حسية كما جاء جبريل مريم عليها السلام[3]، وكما جاءت الملائكة إبراهيم عليه السلام[4] ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : **ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا** [5] ، قال فنزلت [6]

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ [7]

وقد خلقهم من قبل خلق آدم بدليل ما جاء في قصة آدم [8]، ولكن الله فضل آدم ونسله عليهم[9] وأسجدهم له .

---

(١) إمام دعاة عصره : عمر التلمساني رحمه الله ص ١٩٢ ــ في رياض التوحيد .

(٢) رواه مسلم .

«العقيدة الوسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ــ الطبعة الرابعة ــ توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ص ١٣٤ ــ ١٤١ .

وراجع في تفصيل اليوم الآخر العقائد الاسلامية : للشيخ سيد سابق من ص ٢٤٥ إلى ص ٣٠٧ .

(٣) الآيات ١٦ ، ١٧ من سورة مريم .

(٤) الآيات ٦٩ ــ ٧٣ من سورة هود .

(٥) الأستاذ سيد سابق «المرجع السابق ١١١ ، ١١٢ .

(٦) رواه أحمد والبخاري .

(٧) مريم : ٦٤ .

(٨) البقرة : ٣٠ .

(٩) البقرة : ٣١ ــ ٣٤ .

أما .. ماذا يعملون :

فقد جاء في القرآن أنهم

(١) ﴿**لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾[١]

(٢) ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله ...**﴾[٢] ، ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[٣]

(٣) السلام على المؤمنين ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم**﴾[٤]

(٤) تعذيب أهل النار ﴿**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**﴾[٥] .

(٥) النزول بالوحي ﴿**قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه**﴾[٦]

(٦) حفظ الانسان ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ..**﴾[٧] والدعاء للمؤمنين ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**﴾[٨]

وحضور الصلوات ومجالس الذكر ﴿**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**﴾[٩]

وتثبيتهم المؤمنين ﴿**إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ..**﴾[١٠]

وتأييدهم على عددهم ﴿**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾[١١]

إلى غير ذلك ....[١٢]

---

(١) الأعراف : ١٠٦ . (٢) غافر : ٧ .
(٣) الحاقة : ١٧ . (٤) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) المدثر : ٣١ . (٦) البقرة : ٩٧ ، الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤ ، النحل : ١٠٢ .
(٧) الرعد : ١١ . (٨) غافر : ٧ — ٩ .
(٩) البخاري ومسلم عن أبي هريرة . (١٠) الأنعام : ١٢ . (١١) آل عمران : ١٢٥ .
(١٢) راجع كتابة نفيسة للشيخ سيد سابق ص ١١٦ إلى ١٢٩ المرجع السابق .

٢٦ــ **ويعلم أن الله أنزل كتبا قبل القرآن على رسله وأنبيائه**

فداود أنزل عليه الزبور[١] ، وموسى أنزل عليه التوراة[٢] ، وعيسى أنزل عليه الانجيل[٣] كما أنزل الصحف على إبراهيم وموسى[٤]

بيد أن الأقوام حرفوا التوراة[٥] ، وحرفوا الانجيل[٦]

وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب «قبل تحريفها ــ أو للأصول التي جاءت بها» ومهيمنا عليه «أى مكملا ومسيطرا»[٧]

وهو الكتاب الخاتم الذي لا وحي بعده «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[٨]

وهو للبشر كافة ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ..**﴾[٩]

وهو يتضمن كل ما يصلح الناس في دينهم ودنياهم ﴿**ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾[١٠] ، ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾[١١] ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾[١٢]

٢٧- **أرسل رسلاً وأنبياء منهم من قص علينا ومنهم من لم يقصص(١٣) ومنهم أولــو عـزم(١٤) ونحن نؤمن بهم جميعـاً لانفرق بين أحد منهم(١٥) ولم تخل أمـة من رسول أو نبي(١٦) ، وهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتزوجون(١٧) ، ولكن الله كتب لهم العصمــة وختمهم بـالمعصـوم إمـامهم «محمـد» عليـه السلام(١٨) .**

---

(١) الاسراء : ٥٥ . (٢) المائدة : ٤٤ . الانعام : ٩١ . (٣) المائدة : ٤٦ .
(٤) النجم : ٣٦ ــ ٤٢ ، الأعلى : ١٤ ــ ١٩ . (٥) البقرة : ٧٥ ، النساء ٤٦ . (٦) المائدة : ١٤ .
(٧) المائدة ٤٩ . (٨) فصلت : ٤٢ . (٩) سبا : ٢٨ . (١٠) يوسف : ١١١ .
(١١) النحل : ٨٩ ــ وراجع كلاماً نفيساً للشيخ : سيد سابق ص ١٥٩ ــ ١٧٠ (١٢) المائدة : ١٢ .
(١٣) النساء : ١٦٤ ، الأنعام : ٨٣ ــ ٨٦ ، آل عمران : ٣٣ الأحزاب : ٤ . (١٤) الأحزاب : ٤٠ .
(١٥) البقرة : ٢٨٥ ، ١٣٦ ، ١٧٧ ، الأعراف : ٦٥ ، هود : ٨٤ والأنبياء : ٨٥ ، ٨٦ .
(١٦) النحل : ٦٣ ، فاطر : ٢٤ ، يونس : ٤٧ ، الرعد : ٧ .
(١٧) الفرقان : ٢٠ ، الرعد : ٣٨ .
(١٨) الشيخ : سيد سابق ، المرجع السابق من ص ١٨٠ إلى ص ٢٢٠ .

ثانيا : عمـل القلـب

٢٨ـ ماتقدم في «أولا» كان علم القلب .. وهو قد ينفع وقد يضر قد ينفع المسلم فيتحرك به إيمانا واعتقادا واحتسابا

وقد يضر غير المسلم أو المسلم نفسه .. فيكون حجة عليه حين لا يعمل به.. وقد حكى لنا القرآن عن فريق **﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾**(١)

وحكى عن فريق آخر **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾**(٢)

ولذلك ذهب البعض إلى القول بأن علم القلب يستوى فيه البر والفاجر والمؤمن والكافر ، بل قد يستوى فيه إبليس اللعين مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٣)

أما عمل القلب .. فهو بمثابة الروح للانسان ..

هو فعلا روح الايمان .. الذي غفل عنه الغافلون

ولئن كان ينبع عن علم ، ويتفجر عن معرفة

فإنه قد تكفي الفطرة بديلا عن العلم التفصيلي وعن المعرفة المدققة فلا يلزم لتحرك القلب ، حبا لله وشوقا إليه ، خوفا منه ورجاء فيه ، توكلا عليه واعتصاما به .. وحبا لرسوله وللمؤمنين ...

لا يلزم لذلك .. دراسة كتب ، وانتساب لجامعات إنما قد تحركه الفطرة السليمة التي تلحظ آيات الله في الأنفس وفي الآفاق : **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**(٤)

ومع ذلك ... فإن العلم النافع يزيد المؤمن إيمانا واعتقادا والعمل المخلص يزيد الايمان ويقوي اليقين «والله أعلم»

وفي الكلمات التي تلي نتحدث عن بعض المشاعر التي تكون حركة القلب ، ثم نتحدث عن الاخلاص المصاحب للعمل .

---

(١) البقرة : ١٤٦ .

(٢) النمل : ١٤ .

(٣) الايمان للامام ابن تيمية رضي الله عنه . (٤) فصلت / ٥٣ .

١ــ مشاعر أساسية :

٢٩ــ كما تعلم حياة الانسان أو حياة قلبه من نبضاته

فإن حياة الايمان تعرف من نبضات الحب ، والخوف والرجاء ...

مشاعر ثلاثة رئيسية لا بد منها لحياة الايمان ..

قال عنها أحد الأئمة إنها رأس الطائر وجناحاه .. رأسه حب الله وجناحاه الخوف من لله والرجاء فيه ...[١]

فلا يصعد الايمان لله .. ولا يصعد العمل الصالح بغير الثلاثة ولنا مع كل واحدة منها وقفة .

(أ) حب الله

٣٠ــ وحب الله أول المشاعر ، وأعلى المشاعر ...

لابد أن يخفق به القلب أول ما يخفق ، وأن يخفق به القلب أعلى ما يخفق وانتفاء هذا الحب ، أو توافر حب مساو له لغير الله يعني الشرك ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله**﴾

والمقصود هنا حب العبادة ...

الحب الممزوج بالخضوع والذلة ، وهو ما لا يكون إلا لرب العالمين[٢]

ــ ويتوافر الحب لله بالتفكر في نعمه العظيمة الجليلة علينا وعلى الناس . في أنفسنا وفي الآفاق ..

﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار**﴾[٣]

ولذلك جاء في الحديث «**أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم**»[٤]

وإذا كان جميل واحد يجذب الانسان إلى من يقدمه له .. أفلا نحب الله

---

(١) الإمام ابن القيم في كتابه القيم مدارج السالكين «بين إياك نعبد وإياك نستعين» .

(٢) ويشير البعض إلى أنواع أخرى من المحبة !

كالمحبة الطبيعية التي تتوافر عند الجائع للطعام ، وعند الظمآن للماء .

ومحبة رحمة وإشفاق كتلك التي عند الاب أو عند الأم نحو ولدهما .

ومحبة الأنس والإلفة .. بين الأخوان والأصدقاء .   «الرسائل المفيدة»

(٣) إبراهيم : ٣٤ .   (٤) أخرجه الترمذي .

ونعمه علينا ظاهرة وباطنة ، بل إن ما يقدم إلينا من «غير الله» هو في حقيقته من «الله»

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله ..﴾

- كما يتوافر الحب ويزداد بالتفكر في أسماء الله وصفاته لأننا نزداد حبا وإعجابا بعظمة الله ، وقدرته ، ورحمته ، وجبروته ، وغفرانه ، وانتقامه ، وخلقه ، ورزقه وعطائه ... الخ

وإذا كان الانسان قد يعجب بآخر لخلق ككرم ورحمة ...

فإن الله سبحانه وتعالى أكرم وأرحم .. ثم هو بعد ذلك أعظم وأكبر ، وأقدر ثم هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى ...

(ب) الخوف من الله :

٣١- والخوف من الله ، كحب الله ، ينبغي ألا يكون لبشر مثله فضلا عن أكثر منه .

﴿أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾(١)

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾(٢)

﴿فلا تخافوهم وخافون ، إن كنتم مؤمنين﴾(٣)

والآيات كثيرة في هذا المعنى .

٣٢- ويتوافر الخوف من الله بتذكر عظمته وقدرته وجبروته ، وإحاطته بكل شيء علما ، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه «معكم أينما كنتم» ، وأنه بكل شيء بصير ، وعلى كل شيء قدير وبكل شيء محيط .. فأين تذهبون !

ثم يتذكر عقابه سبحانه للأقوام الظالمين من قبل في الدنيا .

﴿فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(٤)

ثم يتذكر اليوم الآخر

---

(١) التوبة : ١٣ . (٢) الأحزاب : ٣٩ . (٣) آل عمران : ١٧٥ .

(٤) العنكبوت : ٤٠ .

إبتداء من ضمة القبر ووحشته ، واختلاف الأضلاع فيه ، وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر الجحيم ..

ثم موقف يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرءوس ، ويغرق الناس في عرقهم ، ويتعجل البعض العقاب حتى يتمنى أن ينتهي ولو إلى جهنم «والعياذ بالله»

﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾(١)

[يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه](٢)

وحين يكون الحساب ... **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾** ...

وحين تتطاير الصحف .. فمنهم من يأخذها بيمنه ، ومنهم من يأخذها وراء ظهره أو بشماله ..

وحين تعرض الأعمال أمام الخلائق ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾(٣)

وحين تختم الأفواه وتتكلم الأعضاء .. **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾**(٤)

﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾(٥)

﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم ، وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾(٦)

---

(١) الحج : ٢ .
(٢) عبس : ٣٤ — ٣٧ .
(٣) الكهف : ٥٩ .
(٤) يس : ٦ .
(٥) النور : ٢٤ ، ٢٥ .
(٦) فصلت : ٢٠ — ٢٤ .

وهكذا يكون يوم المخاصمة الأليم .. بين الانسان وجلده ، بين الانسان وأعضائه التي هي منه .. تشهد عليه يوم القيامة بما اقترف ! دون ما حاجة إلى إقرار منه ، ولا إلى شهود .. وكفى بأعضاء المرء وجلده .. شهيدا عليه !! ﴿**كفى بنفسك عليك حسيبا**﴾ ثم يكون المصير الأليم إن قدره الله ..

جهنم وبئس المهاد ، جهنم وبئس القرار ،

﴿**نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾(١)

﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ، ليذوقوا العذاب**﴾(٢)

﴿**.. قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ..**﴾(٣)

من يحتمل هذا ... ؟

من يقدر على هذا ... ؟

من يرغب أو يتمنى .. هذا .. ؟

أجيبوا أيها الغافلون !

... بشيء من ذلك التذكر أو به كله .. يتوافر لدى المسلم ما وصف الله به عباده المؤمنين :

﴿**إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**﴾(٤)

﴿**الله نزل أحسن الحديث ، كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ...**﴾(٥)

وذلك كله ...

مع تذكر الذنوب والمعاصي .. ومن منا لم يذنب أو لم يعص ..

والندم عليها ...

والبكاء بين يدي الله وفي ساعات السحر ....

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) النساء : ٥٦ .

(٣) الحج : ١٩ ــ ٢٢ .

(٤) الأنفال : ٢ .

(٥) الزمر : ٢٣ .

(ج) الرجاء في الله

٣٣ــ والرجاء في الله يأتي متمما للخوف من الله

فيتقلب المؤمن بين الخوف والرجاء ، ويتعبد الله بالتقلب بينهما

﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[١]

﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾[٢]

ولئن سبق ــ في هذه الكلمات ــ الخوف الرجاء

ففي كلمات الله ، وفي قدره يتقدم الرجاء لخوف ، وتسبق رحمة الله غضبه فينبئنا سبحانه **﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾**[٣]

وينبئنا في الحديث القدسي **«أنا عند ظن عبدي بي»**[٤]

ويرفع عنا سبحانه كل قنوط حين ينادينا **﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم﴾**[٥]

ويدخل النبي ﷺ على رجل في النزع فيقول : **كيف تجدك ؟** فيقول : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي ، فيقول **«ما اجتمعتا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف»**[٦]

ويقول ﷺ في الحديث القدسي **«لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة»**[٧]

ويقول على رضي الله عنه لمن أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه «يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك»[٨]

٣٤ــ وهكذا يستشعر المسلم الرجاء ..

من خلال آيات الله في الآفاق ، وما يشهده من رحمة الله وفضله عليه وعلى الناس الرجاء .. رجاء رضوانه .. ورجاء جنته .. إنه النعيم المقيم

---

(١) الاسراء : ٥٧ . (٢) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ . (٣) الأعراف : ١٥٦ .

(٤) البخاري ومسلم . (٥) الزمر : ٥٣ .

(٦) الترمذي والنسائي وابن ماجة وقال النووي إسناده جيد .

(٧) رواه مسلم .

(٨) الأجباء ــ محققاً ص ١٢ ص ١٧٧ .

الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ أن من غمس فيه غمسة واحدة وكان من أبأس أهل الأرض قال «**لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**»(١)

إنه الذي أخبر عنه من لا ينطق عن الهوى «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**»(٢)

إنه الذي جاء وصفه في الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يحلون فيها من أساور من ذهب ، ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير ، وهدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد](٣)

[فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون﴾(٤)

— **﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين ، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾**(٥)

﴿والسابقون السابقون ، أولئك المقربون في جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، إلا قيلا سلاما سلاما ...﴾(٦)

---

(١) من حديث رواه مسلم .

(٢)

(٣) الحج : ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) السجدة : ١٧ .

(٥) الزخرف : ٦٧ ـــ ٧٣ .

(٦) الواقعة : ١٠ ـــ ٢٦ .

(د) بقية أركان الايمان :

٣٥ــ كما يعتمل القلب بمشاعر حب الله ، والخوف منه ، والرجاء فيه .... ومعها التوكل عليه ، والاعتصام به ، وحب رسوله ، وحب المؤمنين فينبغي أن يتحرك القلب لباقي أركان الايمان أو بباقي أركان الايمان فيتحرك لليوم الآخر .. كما ذكرنا في ثنايا الحديث عن الخوف والرجاء .

يخاف النار ، ويرجو الجنة

ويشخص بناظريه ..

فإذا به بكاء لذكر النار ، تواق مشتاق إلى الجنة !

٣٦ــ ثم إذا بالقدر في نفسه وقلبه ... مستقر قرارا يطمئن به قلبه فلا يجزع للشر ، ولا يطير بالخير .

إنما يصبر عند الأول ويشكر عند الثاني

وتتقلب عبادته بين الصبر والشكر !

ويتمثل قول الله **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور﴾**(١)

ويقر في قلبه :

«يجب أن تنظر إلى كل فعل من ناحيتين : ناحية قائمة بالله عز وجل ، وهى قضاؤه وقدره في هذا الفعل ، وعلمه به من قبل أن يخلق هذا الكون فعلم الله قديم لا أول له ، والناحية الثانية : متصلة بالعبد ، وهي ما يصدر عنه من أفعال واليقظ الحذر من الموحدين ، يجب ألا يقصر نظره على ناحية واحدة من هاتين الناحيتين ، بل يجب أن يجعلهما في ميزان تقديره على السواء ، حتى لا يذهب القدر في ظنه بالاختيار ، وحتى لا يغطي الاختيار في غروره جانب الأقدار ، ... فعلى المسلم أن يشهد قضاء ربه وقدره ومشيئته ، كي يلزم جانب الأدب مع الله ، وأن يشهد في نفس الوقت مدى طاعته أو معصيته ، وجانب مسئوليته أو تحلله : فيجتمع عليه في قلبه : ربوبية الرب ، وعبودية العبد ، مستحضرا في ذهنه قوله تبارك

---

(١) الحديد : ٢٢ .

وتعالى : **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾** مع قوله تبارك وتعالى : **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾** وقوله تبارك وتعالى : **﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾**[1]

٣٧ـ ومع هذا كله ....

يقين بما خلق الله من الملائكة ، وما أرسل من الرسل ، وما أنزل من الكتب يكتمل به إيمان المؤمن ...

يقين بالملائكة الذين عرفنا ـ من قبل ـ شيئا عنهم ويقين بالرسل .. أنهم جاءوا لهداية أقوامهم .. وأنه .. **﴿وإن من قرية إلا خلا فيها نذير﴾** ، وأن منهم أولى العزم ، ومنهم الأنبياء ، وأن منهم من قص علينا ، ومن لم يقصص علينا ويقين بالكتب .. أنها من عند الله ..

في الأصل يصدق بعضها بعضا في الأصول ـ

ويكمل بعضها بعضا ـ لولا تحريف المحرفين للكتب السابقة حتى جاء الكتاب الخاتم **﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾**

وهكذا يتكامل الايمان ....

﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[2]

٣ ـ الاخـــلاص :

٣٨ـ ويأتي الاخلاص متمما لعمل القلوب لازما له .

بغيره لا ترتفع أعمال الجوارح ، ولا يرتفع العمل الصالح وهذا الأمر نزيده وضوحا إن شاء الله عند الحديث عن عمل الجوارح !

ولكننا أردنا بهذه الاشارة إبراز أن الاخلاص عمل من أعمال القلب .

وننتقل بمشيئة الله إلى العنصر الثالث من عناصر العقيدة الصحيحة : عمل الجوارح .

---

(١) امام دعاة عصره ـ عمر التلمساني ـ رحمه الله في رياض التوحيد ص ١٣٩ .

(٢) البقرة : ٢٨٠ .

الفصل الثالث

عمل الجوارح

«عمـــل الجـــوارح»

١ ـ موقع العمل من الايمان :

٣٩ـ يبدو من النظرة الأولى لآيات القرآن أن العمل يأتي تارة قسيما وتارة قسماً للايمان

فالصورة الأولى : التي تتردد كثيرا ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..**﴾ ﴿**فمن آمن وعمل صالحا**﴾ .. وذلك مما قد يوحي أن العمل الصالح ليس جزءا من الايمان .

وأما الصورة الثانية : فتتردد كذلك في القرآن : ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ..**﴾[1]

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾

ولأن العمل إن ترك ـ من غير جحود ـ لم يكن تاركه كافرا عند أهل السنة خلافا للاعتقاد ، أو نطق اللسان ، فإن تارك أى منهما كافر كفراًمخرجا من الملة عند أهل السنة .

٤٠ ـ بهذا وذاك ذهب البعض إلى اعتبار العمل ثمرة من ثمرات الايمان وليس جزءا منه ، وهي ثمرة لازمة لا تنفك عن الايمان[2] ، فكما أنه لا عمل بلا إيمان ، فإنه لا إيمان بلا عمل ...[3]

---

(١) قاله الامام أبوحنيفة ـ رضي الله عنه

راجع رسالة متواضعة «محنة لا إله إلا الله» ـ لكاتب هذه السطور

(٢) يقول الامام ابن تيمية في ذكر العمل بعد الإيمان في الآيات

وأما إذا قيد الايمان فقرن بالاسلام أو بالعمل الصالح فإنه قد يراد به ما في القلب من الايمان بإتفاق الناس ، وهل يراد به أيضاً المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون حين الاقتران داخلا في مسماه ..

«ص ١٤٢ ، ١٤٣ ـ الايمان لابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

(٣) قاله الائمة الثلاثة : «مالك ، والشافعي ، وأحمد» وحكى فيه الشافعي الاجماع .

«الأيمان الحق ـ الطبعة الثانية ص ٢٠»

٤١ــ بيد أن أكثر الفقهاء وأئمة المذاهب على أن العمل جزء من الايمان لا يتجزأ وعلى ذلك أكثر من دليل(١)

٤٢ــ ولقد يختلف ما قال به الامام أبوحنيفة عما قالت به المرجئة : إذ استبعدت العمل تماما ، ولم تجعله ثمرة لازمة ، فضلا عن أنهم رتبوا على ذلك قولهم الفاجر «لا يضر مع الايمان معصية» .

٤٣ــ ولقد يكون الخلاف شكليا بين الامام أبي حنيفة وبقية الأئمة :(٢) إذ النتيجة واحدة .. الاعتداد بالعمل سواء كجزء من الايمان أو كثمرة لازمة للايمان فضلا عن أن الفريقين يرتبان نفس النتيجة على ترك العمل .

٤٤ــ ورغم ذلك فنحن ننزل على ما روى فيه الاجماع من أن العمل جزء من الايمان آخذين بما تواتر من النصوص على هذا المدلول .. والله أعلم .

---

(١) راجع ما ساقه الامام الراحل الدكتور عبدالحليم محمود ــ شيخ الأزهر السابق في مقدمة كتاب الايمان الحق . ص ٩ وما بعدها . وراجع العقيدة الطحاوية ص ٣١٣ وما بعدها ، وابن تيمية في كتاب الايمان ص ٢٤٧ وما بعدها .

(٢) وفي هذا يقول الامام الطحاوي ــ رضي الله عنه ــ والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة إختلاف صوري ، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لايمان القلب أو جزءاً من الايمان ، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الايمان ، بل هو في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه ــ نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد .

شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٤ «مكتبة الدعوة الاسلامية ــ شباب الأزهر

ويقول الشيخ سيد سابق في كتابه «العقائد الاسلامية» : والايمان يمثل العقيدة والأصول التي تقوم عليها شرائع الاسلام .. والعمل يمثل الشريعة والفروع التي تعتبر إمتداد للايمان ، والعقيدة والايمان والعمل أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار ، أو إرتباط المسببات بالأسباب ، والنتائج بالمقدمات .

ص ٧ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت لبنان .

ويقول الامام ابن تيمية في كتابه الايمان ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ تحت عنوان «الارجاء من بدع الأقوال» «لم يقل من بدع العقيدة أو الاعتقاد وسوف نؤكد ذلك في السطور إن شاء الله»

في ص ٣٣٨ ، فأبوثور احتج بما احتج عليه الفقهاء المرجئة من أنه تصديق وعمل ثم قال وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين ، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من مرجئه الفقهاء ، بل جعلوا ذلك من بدع الأقوال والأفعال ، لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب ، وهذا الذي إنتهى إليه ابن تيمية ، وانتهى إليه صاحب العقيدة الطحاوية هو ما انتهينا إليه بحمد الله ، قبل أن نطلع على قولهما وأن كنا نقول مع ابن تيمية إن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب .

٢ــ ركنا العمل :

٤٥ــ يقوم العمل على ركنين أساسيين :

أولهما : ركن معنوي يتعلق بالنية : هو إبتغاء وجه الله تعالى ، وهو ما تواترت به النصوص من إخلاص **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ..﴾**

﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾

﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾

﴿إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، وابتغي به وجهه﴾

وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية .. أى ذلك في سبيل الله ؟

فقال ﷺ : **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»** وإذا توافر «للعمل الصالح» ركن النية انقلب العمل «عبادة» حتى ولو كان مما اصطلح عليه بأعمال «العادات»

وفي هذا قول رسول الله ﷺ : **«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**(١)

ثانيهما : ما يتعلق بالركن المادي وهو الفعل نفسه :

٤٦ــ فينبغي أن يحكم الفعل بشرع الله . أى أن يؤدي وفقا لما أمر الله ورسوله .

وفي هذا نقول بعون الله .

إن الله فرض علينا فرائض ، وحد لنا حدودا .. فينبغي ألا نغادرها أما ما سكت عنه رحمة بنا غير نسيان ، فنحن نأتيها إن شئنا ــ مستمتعين بحكم الله فيها من الاباحة أو الحل .

---

(١) متفق عليه رواه البخاري ومسلم .

وعلى ذلك فالأفعال كلها محكومة تتردد بين الأحكام الخمسة المعروفة الواجب والندب ، والمكروه والحرام ، والمباح

والنزول على حكم الله في أي منها هو العبادة الحقة في هذا الشق والله أعلم .

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال ، وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب﴾[1] ، وفي هذا حديث رسول الله ﷺ **«كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»**[2]

٤٧ـ فإن تحقق للعمل ركناه من نية ، واتباع .. كان العمل عملا صالحا ، أى كان عبادة «متقبلة» إن شاء الله .

أما إن تخلف أحدهما فليس العمل بعبادة **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾**[3]

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[4]

وفي هذا كان دعاء عمر رضي الله عنه .

«اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا»

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى «ليبلوكم أيكم أحسن عملا»

قال : أخلصه ، وأصوبه

قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟

قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا .

والخالص أن يكون لله .

والصواب أن يكون على السنة .

ثم قرأ قوله تعالى : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾**

---

(١) النحل : ١١٦ .

(٢) رواه مسلم وفي الرواية المتفق عليها «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) الفرقان : ٢٣ .

(٤) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ .

٣ــ والايمان يزيد وينقص :

٤٨ــ على ما عليه أهل السنة ، من أنه يزيد بالطاعات (وهي أعمال) وينقص بالمعاصي «وهي أعمال» .. لكن المتفحص للآيات يجد أن الاشارة إلى الزيادة تكون بالأعمال أعمال الجوارح ، كما قد تكون «بأعمال القلب» ومن ناحية أخرى فإن الزيادة والنقصان في أعمال الجوارح تؤثر كذلك على ما في القلب وذلك أمر محسوس لا يحتاج إلى دليل .

وفي قوله تعالى : **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾** ــ لعلها أدخل في زيادة إيمان القلب .

وقوله تعالى : **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** ــ واضح أن الزيادة في القلب لأن الحديث عن الخشية والخشية محلها القلب ، فبدلا من وقوع الخشية في القلب زاد إيمان القلب «بفضل الله» ــ والله أعلم[١]

٤ ــ أثر ترك الواجب أو أرتكاب المحرم :

٤٩ــ يجمع أهل السنة ــ بمذاهبهم الأربعة ــ على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه فهو عاص لله ورسوله مستحق الوعيد[٢] لكنهم اختلفوا من وراء ذلك :

ــ اختلفوا في التسمية : فالبعض قال : مؤمن ناقص الايمان[٣] والبعض قال : مسلم وليس بمؤمن[٤] والبعض قال : كافر كفرا لا يخرج من

(١) الايمان لابن تيمية ص ١٩٥ وما بعدها .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٥ ــ المرجع السابق

(٣) أما أنه مؤمن فلوجود أصل الإيمان ، فالإيمان ، أصل وفرع ، ومادام الأصل موجوداً فلا ينتفي عن صاحبه الإيمان ، يؤكد ذلك حديث رسول الله ﷺ «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة» الحديث تقدم .

(٤) أما أنه مسلم وليس بمؤمن ، فهو على أساس التفرقة بين الإيمان والاسلام لأنهما إذا اجتمعا إفترقا «أي اجتمع معناهما» وفي هذا الصدد يستدل بقول الله سبحانه **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾** .

الملة[1] أي كفرا أصغر ، أو كفرا دون كفر .

٥٠ــ واختلفوا في تارك الصلاة :

فأكثر أهل السنة أن تاركها سهوا أو إهمالا غير جاحد ليس بكافر وبعضهم ذهب إلى كفره[2]

وكذلك مرتكب جريمة القتل . فقد اختلفوا حول إمكان توبته وقبولها ، فأنكر البعض ذلك ، لتعبير القرآن بأنه «خالدا فيها» ، والجمهور على إمكان توبته[3]

---

(١) والتفرقة بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر قائمة على أنه ورد لفظ الكفر وصفا لمن خرج عن الملة ، كما ورد وصفا لمن ارتكب بعض الذنوب التي اتفق أهل السنة أنها لا تخرج من الملة «كالحلف بغير الله ، أو إتيان امرأة في دبرها» أو غير ذلك ..

ومن ثم فقد اعتبر الكفر الأخير لتغليظ الذنب وتنفير الناس منه

وجاء تقسيم العلماء .. إلى كفر أكبر ، وكفر أصغر ، أو كفر مجازي ، أو كفر دون كفر الايمان الحق ــ للمؤلف ــ ص ٧٠ ــ ٧٢ .

ــ كان هذا الموضوع مثار الخلاف الكبير بين من غالوا في اعتبار العمل جزءا من الايمان بحيث رتبوا على تركه نفس الأثر الذي يترتب على ترك الشهادة أو ترك الاعتقاد . وبين من اعتبروا العمل جزءا من الايمان ــ وهم أكثر أهل السنة ــ لكنهم لم يرتبوا على تخلفه نفس الأثر الذي يترتب على تخلف الشهادة أو الاعتقاد .

وقد بسطنا الحديث عن ذلك في كتابنا الايمان الحق ص ٥١ وما بعدها .

(٢) واختلف هل يقتل حداً أو يقتل لكفره ــ والجمهور أنه لا يقتل لكفره لوجود أصل الايمان والله أعلم ــ المغنى لابن قدامه جـ ٢ ص ٤٤٢ ، ٤٤٧ .

(٣) مختصر ابن كثير في تفسير قوله تعالى **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾** «البقرة : ٩٣»

وقد أورد الأحاديث في تغليظ جريمة القتل

ثم قال : وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً .. ونقل البخاري عن ابن عباس أن الآية آخر ما نزل وما نسخها شيء ، وقال في آية الفرقان **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ... إلى قوله إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ..﴾**

قال نزلت في أهل الشرك

ثم نقل عن مجاهد : إلا من ندم

ثم قال :

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها : أن القاتل له توبة بينه وبين الله عز وجل فإن تاب وأناب ، وخشع وخضع وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول عن ظلامته ، وأرضاه عن ظلامته ، قال تعالى **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ... إلى قوله ــ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ...﴾** الآية ..

وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين ، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ، ويحتاج حمله إلى دليل ــ والله أعلم . المرجع المذكور ج ١ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

٥ ــ الوقــوع في الشــرك :

٥١ ــ قد يكون إيمان ، ويقع معه شرك .. أكبر ، أو أصغر ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ .. ولذا وجب التحذير منه .

والشرك الأكبر : أن يشرك مع ربه من يعتقد أنه يخلق أو يرزق أو يدبر[١] ــ أو أن يشرك مع الله : من يدعوهم من أموات أو غائبين أو يستغيث بهم ، أو يستعين بهم[٢] أو يطيع غير الله عالما عامدا فيما شرع الله «من حلال أو حرام»[٣] أو يذبح أو ينذر لغير الله[٤] ــ أو أن يشرك مع الله أحدا في صفاته «التي تفرد بها»[٥] كأن يعتقد أن غير الله يعلم الغيب .

أما الشرك الأصغر :

فلا يخرج من الملة ، ولا يخلد صاحبه في النار ، ولكنه يعد من الكبائر بل من أكبر الكبائر .

وأمثلته : (أ) الحلف بغير الله **﴿من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك﴾**[٦] (ب) تعليق التمائم **[من تعلق تميمة فقد أشرك]**[٧] (جـ) السحر من يفعله ومن يصدقه **[ولا يفلح الساحر حيث أتى]** ، **«ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، ومصدق بالسحر ، قاطع الرحم»**[٨] وكذلك **«من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»**[٩] (د) الطيرة «التشاؤم» ــ **«من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»**[١٠] .

---

(١) هذا شرك ربوبية . (٢) ، (٣) ، (٤) هذا شرك ألوهية .

(٥) هذا شرك في الصفات

راجع تفصيلا لذلك «العقيدة الاسلامية من الكتاب والسنة» محمد بن جميل زينو حقيقة التوحيد د. يوسف القرضاوي ص ٣٨ ــ ٤٥ .

وقد أشار «من ٦٢ ــ ٧٢» إلى منافذ الشرك التي يجب سدها :

الغلو في تعظيم النبي ﷺ ، الغلو في الصالحين ، تعظيم القبور «باتخاذها مساجد أو الصلاة إليها ، أو إضاءتها وإيقاد السرج عليها ، أو البناء عليها وتعليتها ورفعها ، والكتابة عليها واتخاذها عيداً كذلك التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها ، والابتعاد عن الألفاظ الموهمة للشرك «مثل ما شاء الله وشاء فلان» .

(٦) رواه الترمذي وحسنه (٧) رواه أحمد مرفوعا عن عقبة بن نافع (٨) رواه أحمد ابن حيان في صحيحه .

(٩) رواه أبوداود .

(١٠) رواه أحمد وتفصيلا للشرك الأصغر «حقيقة التوحيد» د. يوسف القرضاوى ص ٤٦ ــ ٦٢ .

الفصل الرابع

إفراط وتفريط

«إفـــراط وتفـــريط»

٥٢ـــ الافراط والتفريط خطان منفرجان عن الصراط المستقيم ، لا خير فيهما بل فيهما الشر المستطير بيد أن الناس ـــ أو أكثر الناس ـــ يقعون فيهما دون عمد أو إصرار ، فأما التفريط فتستمرئه الهمم القاصرة ، والنفوس المسترخية .. ذاك أنه سقوط وانحدار .. والنفس تهوى ـــ بجبلتها ـــ السقوط والانحدار ـــ إلا من رحم ربي ـــ والسقوط والانحدار أيسر من الصعود والارتفاع ... ولذا كان الأول أعم وأكثر ...

فإذا حدث السقوط والانحدار ، وعم التفريط والتقصير .. حدث رد الفعل المقابل (غالبا) فكانت المغالاة والافراط .. وذاك ماثل في التاريخ ، وبالأخص في المجال الفكري ومجال المذاهب ...

والناس أكثر الناس ـــ يلومون أصحاب الافراط ، وهم في ذلك على حق ، لكنه ليس الحق كله لأنهم يتناسون أصحاب التفريط ... الذين ارتكبوا جرمين ـــ جرم البعد عن دين الله بالتفريط ، ثم جرم ظهور أصحاب الافراط كرد فعل لتفريط الأولين .

وفي تاريخ الاسلام حدث الافراط ، ووقع التفريط[1]

ولايزال البعض مشغولا بالحديث عن هؤلاء .

لكننا نؤثر أن يكون حديثنا عن «الحاضر» لا عن «الماضي» فهو أولى بالتشخيص وأولى بالعلاج ، ولئن ألمحنا إلى الماضي فلمعرفة الجذور ،

---

(١) من أمثلة التفريط قصر الايمان على علم القلب

وقد كفر الامام أحمد بن حنبل وجمع من الفقهاء من قال بذلك كما اعتبر ابن تيمية قول قائلهم ـــ لا يضر مع الايمان معصية كفراً صريحاً . وقصر البعض الايمان على قول اللسان

وقصر البعض الآخر الايمان على قول اللسان واعتقاد القلب ، وأخرج العمل من سمى الايمان .

وهذه كلها أمثلة للتفريط اندثرت جميعاً أو اندثر أكثرها ، سواء من تسموا بالجهمية أو من تسموا بالكرامية ، أو من تسموا بالمرجئة ، ولم نر الخوض فيها لاندثارها .

وقد خلط البعض بين استبعاد العمل من مسمى الايمان ، وبين قول أبي حنيفة بأنه ثمرة لازمة من ثمرات الايمان ، الأمر الذي لا يفرقه كثيراً عما قاله بقية الأئمة من أنه جزء من الايمان اللهم إلا من ناحية الشكل أو اللفظ كما قال بذلك الامام الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية ـــ راجع ما تقدم .

ولمعرفة تاريخ (الداء) والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١ــ حديث عن التفريط :

٥٣ــ قد يقع التفريط بغير (فلسفة) أو (تنظير) ...
أمر جبلت عليه النفوس [**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ..**][1]
فنسمع عمن وقعت منه (سرقة) أو (زنى) ، أو حتى (كفر) بالله ، وهذا الوقوع قد يكون (عارضا) فينهض الانسان يغتسل من ذنبه كما ينهض من يقع في الطين يغتسل من (وسخه)
وقد تشرب النفس الذنب أو الخطيئة .. فتدوم وتصر عليها .. هنايصير الأمر (مرضا) ينبغي أن يعالج أو (أو خطرا) ينبغي أن يبحث وقد تولت الشريعة ذلك بما شرعت من حدود .. تعالج وتجتث درءا للمفاسد والمخاطر .

٥٤ــ لكن الأخطر من ذلك كله أن يصير الخطأ (نظرية) أو (فلسفة) يروج لها هنا ينتقل الأمر من دائرة الحادث الفردي إلى دائرة الخطورة الجماعية التي ينبغي الا تقف الأمة والدولة إزاءها ساكتة ، إن الخطأ أو الخطيئة يصيران (بؤرة) تجتمع عليها النفوس المريضة أو الباحثة عن (الغرابة) أو (الشهرة) وغير ذلك من الأسباب ــ وهنا يجب علاجان :
علاج فكري : يدرأ الفكرة بالفكرة ، ويقرع الحجة بالحجة .
وعلاج أمني : يجتث الجذور مستخدما الحدود والتعازير ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ...**﴾[2]

٥٥ــ والذي يجرى اليوم في بلاد الاسلام ــ بكل أسف ــ هو اللون الثاني ، فالمفرطون ، والذين يشيعون الضلال والفساد .. تلقى عليهم (الألقاب) ويمنحون (النياشين) ، وتقام لهم أيام وأعياد ، ويمنحون الجوائز والمكافآت ويسمون بالنجوم والأبطال وتقف (السلطة) حارسة وحامية لهم ، مانعة

---

(١) الشمس : ٧ ــ ٨ .
(٢) المائدة : ٣٣ .

بسيف القانون أو بسيف الواقع كل تعرض لهم ويأخذ ذلك كله شكل (النظريات) ، و (الفلسفات) ، وتضفي عليه الشرعية ، ويصير من ينتقد ذلك أو يقاومه (خارجا عن الشرعية) مستوجبا العقاب .

وذلك ما تنبأ به رسول الاسلام «ﷺ» حين قال : «**أرأيتم إذا فسد شبابكم وطغت نساؤكم ...**» الحديث

وما تنبأ به كذلك «**بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء**»

«وما تنبأ به كذلك «**تنقض عرى الاسلام عروة عروة فأولها الحكم وآخرها الصلاة**»

وأصبحنا اليوم نرى إباحة الجنس نظرية ، وترك (العفة) وإشاعة الاختلاط والفاحشة فلسفة ... يدافع عنها أمثال (فرويد) و(سارتر) ، وتلاميذهما في الشرق الاسلامي .

وأصبحنا نرى تعطيل شريعة الله وإقامة حكم علماني بعيد أو معاد لشريعة الله .. (فلسفة) لها (شرعية) تحت أسماء : الديمقراطية ، والدكتاتورية ، والاشتراكية ، وغيرهما من الأسماء ... ولها أساتذة ومنظرون وتلاميذ ومخدوعون !

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

٥٦ـ **وشردت الأنظمة بعيدا ... ماضية في (التحديث) واقعة في التفريط**(١)

... ونعت وتباكت أن وجد رد الفعل الطبيعي في مواجهة ذلك .. وجد الافراط .. فوجد من يكفر هذه الأنظمة .. ومضى فكفر الراضين ، ومضى فكفر الساكتين ، ومضى فكفر بغير حق كل القائمين تحت هذه الأنظمة بعد أن كفر ـ بحق ـ القائمين عليها .

ونسيت الأنظمة (الفاجرة) أو تناست أنها حين تبنت (التفريط) وولغت فيه ، وولغت معه في دماء المسلمين وأعراضهم ... أن لابد من رد الفعل لذلك .

(١) وتمثيل ذلك في برامج أعلامها الفاجر ، ومناهج تعليمها المنحل ، وقيمها التي تحاول نشرها ، ونظرياتها التي تحاول الدفاع عنها ـ راجع أساليب الغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة ـ المؤلف .

وحسبت أنها حين (تفلسف) فجورها وتفريطها .. سوف تخدع الناس وحين تسوق (الطبول) ، و(الدفوف) ، و(الرايات) ، ومأجورين يهتفون ويصفقون أنها قد كسبت المعركة ، وغطت فجورها وتفريطها بغشاء خادع .. ونسيت أو تناست أن غشاء الخداع يكشف الزور والبهتان والتضليل الذي يتستر به .

وكانت مأساتنا ـــ نحن الذين نريد الحق لوجه الحق وحده ـــ أن نعيش مع ذلك التفريط ، وأن نواجه معه الافراط الذي سوف نحكيه .

٥٧ـــ واتهم فكر (الارجاء) بأنه السبب ....

وذلك من المفرطين غير صحيح ، فالارجاء انتهى تاريخيا في فترة محددة ولم يعد له اليوم من منظر ولا متحدث ، والخوض فيه (بعث) له و(تجديد) من حيث لا يشعر هؤلاء .

ولو سألت واحدا من هؤلاء المفرطين عن الارجاء لعرفت أنه يجهل الكلمة فضلا عن (الفحوى) ـــ فلم نحمل فكرا اندثر مسئولية فكر جديد ؟

ولم نبعث هذه الكلمة التي وراءها ما وراءها بعد أن صارت في ذمة التاريخ ؟

٥٨ـــ واحتمت في الأنظمة .. تيارات تصل في التفريط إلى حد الكفر

فتسامع الناس بالبهائية(١) التي تدعي غير الله إلها جديدا هو الباب ـــ وهو البهاء ، وتسترت في بعض الأماكن وتسربلت ، لكن حسبنا من اعترافاتها أنها تنكر وتنسخ جميع الأديان (بما فيها دين محمد عليه الصلاة والسلام) ، وأنها أنكرت المعجزات والبعث والحشر والجنة والنار ، وأنها حرمت الحجاب وأباحت السفور والاختلاط ، وأنها ادعت وحيا جديدا بعد وحي الله إلى نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام ، وحسبنا فيها قول الله **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾**(٢)

واحتمت في خارج بلاد الاسلام بالحرية التي تتيحها دول الغرب ،

---

(١) ، (٢) راجع تبسيط العقائد الاسلامية للزميل الفاضل الاستاذ : حسن أيوب ص ٢٤٨ ـــ ٢٥٠ والآية من سورة الأنعام : ٩٣ .

وكشفت عن حقيقتها سافرة في أكثر الأحيان[1]

وتسامع الناس بالقاديانية «أو الاحمدية» إذا أرادت التخفي ، تدعي النبوة بعد رسول الله ﷺ ، وتحرم الجهاد ، وتعلن الولاء للانجليز ، وتنشر دعوتها في بعض بلاد الاسلام ، وتنشرها بحرية أكثر في بلاد الغرب .

حيث يبعث المسلمون بفلذات أكبادهم لتلقي العلم والحصول على أرقى الشهادات ليعودوا متبوئين أرقى المناصب !

أما الشيوعيـــة :

٥٩ــ فحدث ولا حرج ! فقد إنتشرت في كل بلاد الاسلام ــ بكل أسف ــ على تفاوت في درجة القوة ، وحكمت في بعض بلاد الاسلام ــ بكل أسف ــ على تفاوت في الولاء للاتحاد السوفيتي أو الصين الشيوعية أو الولايات المتحدة الأمريكية[2]

والشيوعية ــ في أصلها ــ تعلى وتعلن الالحاد ، لكنها في بعض الأحيان وفي بعض المناطق تتخذ «تكتيكاً» مرحليا في مهادنة الأديان حتى يتم لها التمكن ، بل تمضي إلى نصيحة أبنائها ودعاتها بأداء الفرائض الاسلامية من صلاة وحج وعمرة لتمضي إلى نهاية الطريق في الخداع والتضليل .

وهي تدعي تكتيكها الجديد إمكان إتخاذ الاسلام «عقيدة» والشيوعية أو الاشتراكية «مذهبا» وكذبوا .. فدين الله لا يقبل التجزئة أولا ، وعقيدتهم التي يعلنون اعتناقهم لها تفرض شريعته وإلا كنا غير مؤمنين !

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾

---

(١) للبهائية مبنى ضخم في الولايات المتحدة الأمريكية ، موله اليهود ــ فيما نعلم ببضعة ملايين وهو اليوم يساوي عشرات أضعافه ، وفيه مركز إعلامي ضخم لنشر مبادئها «بالسينما» و «الكتاب» وبالدعوة الفردية والجماعية ، يقال إن مركزها الرئيسي في فلسطين المحتلة ــ والله أعلم» .

(٢) تفعل ذلك استتاراً في بعض الأحيان وتضليلا للناس أنها مستقلة عن النفوذ الخارجي ، واستفادة من الولايات المتحدة بولاء بعض الأنظمة لها مع استتارها بالشيوعية !!

٢ ـ حديث عن الافراط :

٦٠ـ حديث الافراط جد عسير

ذلك لأن أكثر الواقعين فيه «مخلصون» ، ولكنهم وقعوا فيه عن «حسن نية» ولذلك كانت نصيحة على رضي الله عنه :

«لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه»(١)

وقال لهم عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه «إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متاع ، لكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها»(٢)

٦١ـ ولنتعرف على جذور الإفراط :

فهي في هذا المجال مفيدة للتشخيص

لقد كان «الخوارج» من أنصار على ــ رضي الله عنه «ومن أشد الناس حماساً له ، لكن لما وقع التحكيم خطأوا عليا ، ومعاوية بل كفروهما وأعلنوا الخروج وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة ، وبالخروج على الإمام إذا خرج على أمر الله ولنستمع لابن عباس رضي الله عنهما يصف فريقاً منهم ، ثم يحاورهم(٣)

... دخل عليهم فإذا هم «صفر الوجوه» من كثرة السهر ، أيديهم كأنها «ثفن الابل» خشنة من كثرة السجود ، عليهم قمص «مرحضة» فهم لا يضيعون أوقاتهم إلا في العبادة والتهجد والصلاة .

... وبعد مناقشة قصيرة ترددوا فيها أن يقبلوا حوار ابن عباس راحوا يعددون مآخذهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقالوا :

ــ حكم الرجال في أمر الله والله يقول : ﴿إن الحكم إلا لله﴾

ــ قاتل أي قاتل معاوية ومن معه «ولم يَسْبِ» أي لم يأخذ نساءهم سبيا .

---

(١) ، (٢) الأستاذ الفاضل حسن أيوب ــ المرجع السابق ص ٢٣٧ .

(٣) نقلنا الحوار في أكثر من مؤلف عن الاعتصام للشاطبي ج ٣ ص ٤٥ . وذلك لما فيه من حكم بالغة ، ونحن نجتزىء الحوار هنا بما يناسب المقام .

ــ ولم يغنم لم يأخذ أموالهم غنيمة «فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين حل قتالهم وسبيهم .

ــ ومحا نفسه من إمرة المؤمنين «حين قبل التحكيم» فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .

٦٢ـــ ومن هذه الاتهامات ، وقبل أن نمضي إلى رد ابن عباس عليها ، نلحظ ضيق الأفق ، «وضحالة الفقه» لدى هؤلاء القوم ــ رغم إخلاصهم البادي وغيرتهم الظاهرة !

فقد فهموا الأخذ بالتحكيم مصادرة لقول الله ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ !

وفهموا أن قتال «المؤمنين» يقتضي السبي والغنيمة وإلا ...

وفهموا أن تنازل عليّ عن إمرة المؤمنين معناه أنه صار أميراً للكافرين «يا للهول»

ــ ويرد ابن عباس فيقول «أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا .. أترجعون ؟ قالوا ومالنا لا نرجع»

قال : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم**﴾ ، وقال في المرأة وزوجها ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها**﴾ ، فصير ذلك إلى حكم الرجال ،

فناشدتكم الله «أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي إصلاح ذات البين أفضل أم في ثمن أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع إمرأة ؟

قال : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم ــ أتسبون أمكم عائشة ؟

فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ــ فأنتم ترددون بين ضلالتين ...

قال : وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون : إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو ، فقالا ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، قال رسول الله ﷺ : اللهم إنك تعلم أني رسولك ــ يا علي أكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وأبوسفيان وسهيل بن عمرو .

ــ تقول الرواية التاريخية ، فرجع منهم ألفان ، وقتل بقيتهم

ترى هل يكفي هذا .. للدلالة على «ضيق الأفق» «وضحالة الفقه» لأولئك الغلاة ، وهل يكفي للدلالة على إمكان رجوع بعضهم أو تبين الحق لما فيهم من إخلاص ظاهر ؟!

٦٣ــ **ولا تقف الجذور عند الخوارج :**

فقد وقعت الشيعة في المغالاة[1] ، ولاتزال .

لكنها مغالاة من نوع آخر :

ــ زعمت حب على ــ رضي الله عنه ــ وحب آل البيت أو بدت كذلك ، حتى قدمته من قدّمهم هو «رضي الله عنه ــ فقدمته على أبي بكر وعمر وعثمان ، بل زعمت أن هؤلاء كانوا للخلافة غاصبين إذ نص الرسول ﷺ على عليّ .

وهو إتهام خطير لأنه يحمل فوق «الغصب» الخيانة لله وللرسول ﷺ ، إذ بدلوا وصيته التي زعموا !

ــ بل وتغالى بعض فرقهم إلى تقديم على على محمد عليه الصلاة والسلام .

فتزعم أن الوحي أخطأ في طريقه إلى على فنزل على محمد عليه الصلاة والسلام . وهو إتهام خطير ليس موجها إلى جبريل عليه السلام ــ وحده ــ بل هو موجه إلى رب السموات والأرض الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .. كيف «غفل» ـ معاذ الله ــ عن جبريل وهو يتجه إلى محمد بدلا من على ؟!

٦٤ــ **وتغالي فرقة أخرى كافرة[2]**

فتزعم أن «علياً» رب السموات والأرض ، وأن البرق صوته ، والرعد سوطه ...

---

(١) الأستاذ حسن أيوب ، المرجع السابق ص ٢٤١ وما بعدها والأديان لعبدالقادر شيبة الحمد ، مطبوعات الجامعة الاسلامية .

(٢) حاضر العالم الاسلامي للمؤلف ص ١٧٢ ــ ١٧٨ .

وفي الوقت الذي تقع فيه في هذا الإفراط الشديد تقع في التفريط الشديد فيستحلون «نكاح الذكران» ويستحلون الزنى ، ويعتبرون المرأة جزءاً من الضيافة المقدمة عند الدخول في أسرار العقيدة ، فضلا عن إسقاطهم التكليف عن المرأة ، وكاستحلالهم الخمر ، وتعطيلهم الصلاة بزعم أنها ترمز لأسماء خمسة ، كما يعطلون الصيام .. بنفس التعليل ... أما الحج فيعتبرونه شركاً ! ...

وذلك فضلا عن تاريخهم الطويل في الخيانة إبتداء من غزو التتار ، ومروراً بالغزو الصليبي ، وتعاونهم الماثل مع الصليبية المارونية ومع الصهيونية التي أهدوها «الجولان» ... الخ .

٦٥ــ وبين هذه وتلك توقفت فرقة المعتزلة :

فلم تذهب إلى تكفير مرتكب الكبيرة كما ذهب الخوارج

ولم تقل بإيمان مرتكب الكبيرة أو إسلامه

وإنما قالت هو في منزلة بين المنزلتين ، وبخلوده في النار إلى جوار ما وقعت فيه من القول بخلق القرآن ، وعدم رؤية الله في الآخرة وما أسهمت فيه من الحاكمين من محنة العلماء ومنهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهكذا[1]

٣ــ مغالاة القرن العشرين :

٦٦ــ مع التفريط الذي وقعت فيه الأنظمة بتعطيل شريعة الله ومع صدها عن سبيل الله ، وفتنة المؤمنين والمؤمنات ومع أنهار الدماء التي سالت بغير حق إلا أن تقول ربي الله ومع ألوان التعذيب والاعتداء على الأعراض وعلى الحرمات كان رد الفعل الطبيعي .. أن ظهرت فكرة التكفير ولم تقف عند الحاكمين الذين مارسوا كل ذلك ، بل امتدت إلى أعوانهم ، ثم امتدت

(١) صدرت عدة كتب تعرض لهذا الفكر ، وترد عليه منها :
كتاب الأستاذ : سالم البهنساوي الحكم وقضية تكفير المسلم والتكفير ، جذوره ، وأسبابه ، ومبرراته ، د. نعمان عبدالرزاق السامرائي ذكرياتي مع جماعة المسلمين «التكفير والهجرة» ــ عبدالرحمن أبوالخير دعاة لا قضاة ــ الإمام حسن الهضيمي التكفير والهجرة ــ وجهاً لوجه ــ رجب مدكور وقد زعم صاحب الكتاب الأخير أني راجعته وحققته ، وأعلنت في الصحف أني لم أفعل ، ووعد بذكر ذلك في الطبعة التالية .

إلى الذين رضوا منهم ذلك ، ثم امتدت إلى الذين سكتوا حتى شملت أولئك الذين كانوا لايزالون في السجون يعذبون في سبيل الله !!

ــ ونهضت الفكرة على تأويل نصوص ــ كتلك التي تأولتها الخوارج وأعرضوا عما قال الأئمة والفقهاء ، بمقولة أن هؤلاء رجال وهم رجال ! وفرق بين رجال ورجال كبير !

٦٧ــ وكان البعض الآخر أذكى

فقال بفكرة «الجاهلية»[1] بديلا عن فكرة «التكفير»

ورددنا في حينه .. أن الجاهلية ــ بإطلاق ــ لم يستخدمها القرآن ولا السنة وإنما استخدماها مضافة إلى شيء آخر حتى تحدد نطاقها

أما إن استخدمت بإطلاق فإنها تعني مع أنواع الجاهلية الأخرى جاهلية العقيدة وليس لجاهلية العقيدة معنى سوى الكفر

وقلنا إن إطلاق الجاهلية على المجتمعات وهي مجموعة أفراد إنما تعني إتهام هؤلاء بالكفر .

فعادوا فقالوا إنهم يعنون بالمجتمعات «الأنظمة» والحقيقة أن «الأنظمة» .. غير «المجتمعات» ، ومع ذلك فنحن نقبل بالتفسير الأخير ، ونرجو قصر التعبير على الأنظمة .. فيقال نظام سياسي جاهلي ، أو نظام إقتصادي جاهلي ، أو نظام إجتماعي جاهلي لبعده عن الاسلام أو أخذه من غير الاسلام وتبقى المجتمعات ككتل بشرية بعيدة عن التجهيل والتكفير على ذلك الاطلاق !

---

(١)راجع ما كتبناه في «نحو نظرية للتربية الاسلامية ــ ليس بالتكفير والتجهيل ترقى الأجيال وقد ذكرنا في ثناياه البحث :

١ــ أن الكفر والجاهلية وصفان شرعيان ومن ثم لا يطلقان إلا باستعمالهما الذي جاء به الكتاب والسنة .

٢ــ أننا لا نقر الفجور والعصيان ولا نقر البغي والعدوان .

٣ــ أن في الإطلاق ــ على النحو المذكور ــ مخالفة لصحيح الحكم الشرعي .

٤ــ أن تكفير المجتمعات وتجهيلها لا يتفق مع أسلوب الدعوة ولا أسلوب التربية .

٥ــ أن في ذلك خلطاً بين المجتمعات والأنظمة الحاكمة لها «وهذا ما تنبه إليه البعض فعاد فقال إنما يعني بالمجتمعات الأنظمة» .

٦ــ أن الجاهلية ــ بإطلاق ــ فترة وليست حالة

ولذلك لما أراد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان أن يسأل عن الشر وصف الفترة السابقة عن الاسلام «كنا في جاهلية وشر» ، ثم راح يسأل عن الشر بعد الإسلام دون أن يضيف إليه وصف الجاهلية ، وأقره رسول الله ﷺ على ذلك «الحديث متفق عليه رواه البخاري ومسلم»

٦٨ــ **وذهبت بعض الفرق إلى «التوقف» :**
أي التوقف في الحكم على الناس ..
لأنهم لم يستطيعوا وصفهم بالكفر
وفي الوقت نفسه لم يستطيعوا وصفهم بالاسلام
وهؤلاء يضاهئون قول المعتزلة ، ويجعلون «منزلة بين المنزلتين» والله أعلم !

٤ ــ أين تقف الطرق الصوفية :

٦٩ــ **غالى البعض فوصمها «بالكفر»**
وهاجمها البعض الآخر على تفصيل .
ودافع عنها ، ودعا إليها آخرون
ــ ونحب أن نقول كلمة حق في هذا الموضوع :
إن الصوفية ــ في أصل نشأتها ــ كانت تعني إحياء جانب التربية الروحية لدى الأفراد ، بعد أن طغت عليهم «ماديات» كثيرة
ولئن تسمت بهذا الاسم بغض النظر عن مصدره[1]، فالعبرة بالحقيقة والموضوع لا بالشكل والأسماء !

٧٠ــ **ولقد أدت الصوفية دورها :** في جانب التربية الروحية ، ولاتزال تؤدي في كثير من الأماكن وكثير من الأزمان
كما أنها من ناحية أخرى مارست نشر الدعوة الاسلامية في مساحة كبيرة من العالم الاسلامي لا ينكرها إلا معاند
ومن ناحية ثالثة حملت السلاح وجاهدت في بعض الأماكن ذلك كله وغيره نذكره للصوفية والصوفيين .

٧١ــ **لكننا في الوقت نفسه نسجل :**
١ــ أنَ قصر دعوتها على الجانب الروحي ، ألقى في روع الناس ذلك الفصل الغريب بين الدين والدنيا ، أو بين الدين والدولة ، وساعد دعاة العلمانية من حيث لا يشعر الصوفيون ولا يقصدون !

---

(١) قيل المصدر من الصوف ، أو من الصفاء ، أو غيرهما ــ والله أعلم .

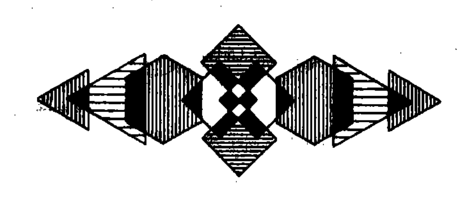
٢ــ أن هذا الجانب دخلته الكثير من «البدع» وهي اليوم أطغى من الالتزام نفسه ، ويستغلها الكثيرون في الدعاية ضد الاسلام .

٣ــ أن دور «الشيخ» مع «المريد» تحول شيئاً فشيئاً إلى دور رجل الدين في الديانة النصرانية بعد تحريفها أصبح «الشيخ» هو «الوسيط» بين «المريد» وبين ربه ، سواء صرح بذلك أو كانت أفعاله وأفعال المريد دالة على ذلك !

وهذا أمر ملحوظ لا يحتاج إلى دليل !

٤ــ بلغ الاسراف ببعضهم بالقول بالحلول أو ما شابه ذلك وإن برر البعض بعض المعاني لينفي معنى الحلول ، وإن البعد عن مواطن الشبه أولى ، ومن وضع نفسه موضع التهمة اتهم ولا أجر له !

٥ــ أن العودة للتربية المتكاملة : روحياً وعقلياً ، وجسدياً كما جاء بها الكتاب والسنة ، وإلى الدعوة بمنهج الإسلام المتكامل لا شك أولى من تلك التجزئة التي يستفيد منها دعاة العلمانية ودعاة الشيوعية ، وغيرها . والله أعلم .



كلمة خاتمة

٧٢ــ لعلي ــ في هذا البحث الموجز المتواضع ــ أديت الأمانة :

إذ تناولت أمر «العقيدة» بعيداً عن «التعقيد» الذي درج عليه «المتكلمون» حاولت أن أتناولها سهلة غضة كما جاء بها الكتاب والسنة وكما سار عليها السلف الصالح .

وحاولت أن أبين «عناصر الايمان» كما انعقد عليه إجماع الصحابة والتابعين والسلف والأئمة «قول واعتقاد وعمل» وأن أبين أركانه : إيمان بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وبالقدر خيره وشره ، كما جرى بذلك الحديث الصحيح وأكدته نصوص الكتاب .

.. وبين ثنايا الحديث ، ومن بعد هذا الحديث ، رددت الشبه التي ثارت وما كان لها أن تثور ، حول ضرورة فهم «لا إله إلا الله» ثم شبهات التفريط الذي وقع فيه الأفراد ، ووقعت فيه بعض الجماعات ، ووقعت فيه أكثر الأنظمة الحاكمة ، وماهم من حجة ، بل الحجة البالغة عليهم .. إنهم فرطوا في حكم الله وشرع الله تحت دعاوي وشعارات باطلة وزائفة !

ــ ثم عرضنا لشبهات المغالين ، قديماً ، وحديثاً .. موضحين البواعث وراء هذه المغالاة وذاك الافراط .. إنه بالدرجة الأولى التفريط الذي وقعت فيه الأنظمة بتعطيل شرع الله ، ثم هو الصد عن سبيل الله وفتنة المؤمنين والمؤمنات ، وممارسات التعذيب والقتل والارهاب الذي تساقطت فيه أكثر الأنظمة الحاكمة .

وأخيراً عرضنا للصوفية فقلنا ما لها ، وما عليها ...

٧٣ــ وبعد ....

فلئن كان لنا من كلمة خاتمة ....

ــ فإننا نوجهها أولا إلى الدعاة .. أن اسلكوا السبيل الوسط بعيداً عن الافراط والتفريط فذاك الطريق الذي خطه «محمد» ﷺ بيمينه بين طرق متعددة ثم تلا قوله تعالى ﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا**

السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1] ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[2]

٧٤ـ لكننا لا نترك الحاكمين حتى نحملهم الوزر .

وزر التفريط أولا في شرع الله .

ووزر الصد عن سبيل الله وفتنة المؤمنين والمؤمنات .

ووزر الافراط نفسه ، إذ كان تفريطهم وصدهم هما الباعث الأول على الافراط

ونحب أن نهمس في آذانهم ، قبل أن يروها صواعق ...

إنكم إن طبقتم شرع الله ، وامتنعتم عن ممارسات الارهاب ، والأمران في أيديكم ضمنتم أولا رضوان الله ، وضمنتم بعده رضوان الأمة عليكم ، وضمنتم ثالثاً انتفاء كل تطرف .. فلن يجد الحقل الذي يعمل فيه .

وإن وجد ، بعد تطبيق شرع الله ، وبعد الانتهاء عن ممارسات التعذيب والارهاب ، ففي حدود الله ما يردعه أكثر مما في قوانينكم ولو كانت قوانين استثنائية .

□ □ □

٧٥ـ اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد

يعز فيه أهل طاعتك ،

ويذل فيه أهل معصيتك ،

ويؤمر فيه بالمعروف ،

وينهى فيه عن المنكر ،

وتعلو فيه كلمتك ،

ويحق فيه الحق ويزهق الباطل ،

ويؤخذ فيه بأمرك ،

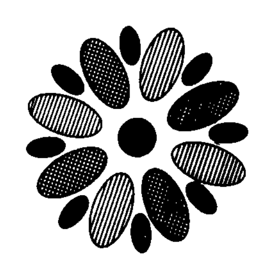
---

(١)الآية ١٥٣ من سورة الأنعام ، ونشير بذلك إلى حديث صحيح عن رسول الله ﷺ .

(٢)(١٠٨) سورة يوسف .

راجع العقيدة الطحاوية «بين الغلو والتقصير» ـ بين التشبيه والتعطيل ص ٥٢٦ ـ ٥٢٨ .

ويعطى فيه بحكمك ،
حتى تتم نعمتك ، وتعم رحمتك ، ولا يبقى معبود سواك
ـــ اللهم ومن أراد الاسلام والمسلمين بسوء فاشغله في نفسه ،
واردد كيده في نحره ،
واجعل تدميره في تدبيره ،
واشدد عليه وطأتك واقدر له أسوأ المصائر .
ـــ اللهم اكتبني عندك من المخلصين ،
وجنبني موارد الظالمين ،
واعني على ذكرك ولا تجعلني من الغافلين ،
ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم
اللهم صلِّ على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا «محمد» وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .



«دعـــــاء»

□ ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ،
ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ،
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ،
واعف عنا ،
واغفر لنا ،
وارحمنا ،
أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾(١)

□ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ،
وهب لنا من لدنك رحمة ،
إنك أنت الوهاب﴾(٢)

□ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ،
ربنا وتقبل دعاء ،
ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾(٣)

□ □ □

«اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء وشماتة الأعداء»(٤)

«اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ،
أعوذ بك من هؤلاء الأربع»(٥)

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) آل عمران : ٨ .
(٣) إبراهيم : ٤٠ ، ٤١ .
(٤) الشيخان والنسائي .
(٥) الترمذي والنسائي .

«اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب الله»[1]
«اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك»[2]
«اللهم لولا ما جهلت من أمري ، ما شكوت عثراتي ،
ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتي ،

إلهي إن كنت لا ترحم إلا المجد في طاعتك ، فأنى يلتجيء المخطئون ؟
وإن كنت لا تكرم إلا أهل الاحسان ، فأنى يصنع السيئون ؟
وإن كان لا يفوز يوم الحشر إلا المتقون ، فكيف يستغيث المذنبون ؟

إلهي أفحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالتي فلا حجة لي ولا عذر ،
فأنا المقر بجرمي ، والمعترف بإساءتي ، والأسير بذنبي والمرتهن بعملي ،

إلهي فصل على محمد وعلى آل محمد .
وارحمني برحمتك ، وتجاوز عني

اللهم إن صغر في جنب طاعتك عملي ،
فقد كبر في جنب رجائك أملي .
كيف أنقلب بالخيبة عندك محروماً ، وظني بجودك أن تقبلني مرحوماً .

إلهي إن أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك ،
فقد آنسني اليقين بمكارم عطفك .

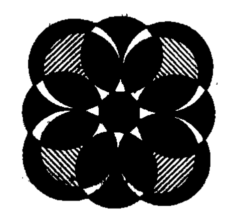
إلهي كأني بنفسي ، وقد اضطجعت في حفرتها ، وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها ،
ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ، ولم يخف على الناظرين إليها ذل فاقتها ،
وقالت الملائكة : غريب نأى عنه الأقربون ، وبعيد جفاه الأهلون ،
وخذله المؤملون ، نزل بنا قريباً ، فأصبح في اللحد غريبا
وقد كنت في دار الدنيا داعياً ، ورحمتك إياى في هذا اليوم راجياً فأحسن ضيافتي ،
وكن أشفق على من أهلي وقرابتي .

إلهي سترت عليَّ في الدنيا ذنوبا فلم تظهرها ، فلا تفضحني يوم ألقاك على

(١) الشيخان وأبوداود .
(٢) الترمذي والنسائي .

رءوس العالمين بها واسترها على ياأرحم الراحمين
ياحنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا حي يا قيوم ، يا من له الخلق والأمر تباركت يا أحسن الخالقين ، يا رحيم يا قدير يا كريم — صل على محمد وعلى آله الطيبين .

آمين .



أهم المراجـــع

١ ــ كتاب الله ــ مع التفاسير الشهيرة : ابن كثير ــ لقرطبي ــ صفوة التفاسير .

٢ ــ سنة رسول الله ﷺ ــ مع الشروح : شرح صحيح البخاري ، وشرح صحيح مسلم .

٣ ــ الإيمان ــ الامام ابن تيمية ــ دار الكتب العلمية ــ لبنان .

٤ ــ العبودية ــ الامام ابن تيمية ــ رضي الله عنه .

٥ ــ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ــ للامام ابن القيم .

٦ ــ شرح العقيدة الطحاوية . الإمام الطحاوي : تحقيق جماعة من العلماء وخرج أحاديثها ناصر الألباني وعلق عليها الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٧ ــ العقائد الإسلامية : سيد سابق ــ دار العربي ــ لبنان .

٨ ــ حقيقة التوحيد : د . يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة .

٩ ــ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس ومراجعة عبدالرازق عفيفي .

١٠ــ العقيدة الاسلامية ، من الكتاب والسنة ، محمد بن جميل زينو ــ مدرس في دار الحديث .

١١ــ العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن ــ محمد أبوزهرة .

١٢ــ المذاهب الاسلامية ــ محمد أبوزهرة .

١٣ــ توحيد القرآن الكريم في الإيمان ــ د. محمد البهي .

١٤ــ الاعتصام للامام أبي إسحق الشاطبي .

١٥ــ في رياض التوحيد ــ عمر التلمساني ــ رحمه الله ــ دار الطباعة والنشر الاسلامية ــ القاهرة .

١٦ــ في العقيدة الإسلامية ــ محمد نمر الخطيب ــ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع لبنان .

١٧ــ تبسيط العقائد الاسلامية ــ حسن محمد أيوب ــ مكتبة الثقافة العربية ــ الكويت .

١٨ــ الإيمان الحق ــ على جريشة ــ الطبعة الثالثة ــ دار الوفاء ــ المنصورة ودار المجتمع جدة .

١٩ــ مختار الصحاح ــ ومعاجم اللغة .

«والحمد لله رب العالمين»

ونعتذر عن عدم ترتيب المراجع ، وقد توجد مراجع أخرى مشار إليها في مكانها .

محتويات الكتاب

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة